المحاورات الجديدة

أو

دليل الرجل الذكي إلى الرجعية والتقدمية

وغيرهما من المذاهب الفكرية



د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

الطبعة الأولى : روز اليوسـف الكتـاب الذهبى ١٩٦٥
الطبعة الثانية : دار المسـتقبل ١٩٨٦

مقـدمة لابد منهـا

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهرجـان الادب الذى اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى نـدوة حية اشتركت فيهـا مـع الدكتورة بنت الشـاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هـذه النـدوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع النـدوة الـذى اختاره لنـا أدباء المنصورة الشبان كان فى حـد ذاته موضوعا ذكيـا يـدل على حذق كبير فى اختيـار الموضوعات ، لاسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقـدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنـان ليمثلوا كل الـوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى ٠

فلا غرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حـد ذاته « لقـاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد ان اهـل المنصورة الاذكياء قد تعمدوا ان يرتبوا هـذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والـذى نبهنى الى هـذا انى سعدت قبـل النـدوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمـد

الغزالي وأتيح لنا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل فى أمور الفكر والثقافة وأمور الدنيا والدين ، وانضم إلينا الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت ان ذكيا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننا من حوار على ريكوردر على غير علم منا . وقد اختلفنا قبل الندوة وأثناءها بما أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجه الارض . وليس هناك ما يدعو لان اعيد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض افكار الغير فقد اتهم بتشويهها . ولا سيما ان آلامر تعقد بعد الندوة الرسمية حين حمل اهل المنصورة ضيوفهم القاهريين نحو منتصف الليل فى ركب من السيارات الي مصيف جمصة فوجدت نفسى على رمال الشاطىء بين عبد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور واحمد حجازى والدكتور عبد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبده بدوى وعامر بحيرى وعباس خضر . وعدد عظيم من الادباء والمتأدبين . وكثر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحة فى الظلام على امواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد

ولكن الذى لفت نظرى فى كل هذه المناقشات هو نوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى احسست بأن هذه الآسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا أثر عودتى الى القاهرة ان أتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » ٠ اكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية المهنية والبيروقراطية التى انقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين ٠ وانا اذكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى أن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الاساسية ٠

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ، وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة ٠

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمه السيرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، وكنا نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والى جوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التى يسمونها طريقة « الباربكيو » أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا وخطيرا ولكن فى هدوء ، لان رائحة الشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت اعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا أو الحان من قيثارة أيولية عزفت على اوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم ٠ وأنتم ادباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لا يطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل شىء فى ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله ٠

فالغضب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا أظن اننــا مستطيعون ان نحل مشاكل الانسانية فى جلسات ٠

قال : موافق ٠

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجـد بالهزل والهزل بالجـــد ٠

قـلت : ٠٠ ما الى هـذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا جـدا فى جـد ، ولكننـا سنقول كل شىء فى ابتسام ، وحتى لا يغضب احـد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننسـب اى راى الى قائله بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتنبسط تحت الاقنعـة الاسارير ٠ ومـا دمنـا فى القاهرة ، وكل منـا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعـد اتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهـذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله ونضبطه على مراجعه ٠ واذا اقتضى الامر دعونا من نشـاء من الخبراء الاجانب ، من افلاطون وارسطو الى ت٠س ٠ اليوت وجان بول سارتر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى بلادهمبمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله ٠ أقول لا بـــد ان يعـــودوا الى بـلادهم فور انتهـــائهم من عملهـــم ، فبعض هـؤلاء تروقـــــه ميــــاه النيل اكثر مما تروقه ميـاه التيمس والســـين والهدسون

والفولجا والراين والبو فيتشبث بالاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا أمته الى الارتواء من ماء النيل فيغترفوا منه حتى يجف شريان مصر ٠ فما بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها انهار ؟

وأخيرا أرجو الا يمانع احد فى استحضار اشباح الادباء والاجداد من أبووير وبنتاؤور ـ الى العقاد ومحمد مندور ـ أنا مثلا احب أن أستحضر روح المعرى وابن خلدون لاناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن أيضا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفصل عن القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينا ويملاوا قاعات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد انفسنا ـ فى مجمع الاشباح وكأننا فى الموقف ، ـ فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون ايضا ان يأخذوا عمر غيرهم ٠

قالوا : موافقون هل لك شروط اخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنا فى الحوار ادباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب فى المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من اعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ • فبعض هؤلاء غاية فى التسلية ولا سيما دعاة البعث العثمانى ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعمارى العظيم الذى يدمن باخ ونيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية •

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ وأين نبدأ ؟

قلت نبدأ بالماسكات أو الاقنعة • مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات • لهذا سأكتفى بنماذج أو عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب • سأكتفى بفلان وهو صبى ادباتى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفى بفلان وهو صبى نقاش استهوته البوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيع والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بدلا من تلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالازميل ، ويسنفره · وسأكتفى بفلان وهو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث اكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه واغروه بآلة مضحكة تسمى الكلارينيت قبل ان يبلغ العشرين ، واعجبه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى » ففصلوه وقرر أن يحترف التأليف الموسيقى الذى يصلح لخصر عدى شمس الدين ، ولاوركسترا القاهرة السيمفونى فى وقت واحد ، فعين فى لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ·

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قرداتى – واخته الصغرى آكلة النار مثله من درب العوالم فى سن البلوغ واشتغلا بمهنة البلياتشو على البيانولا فى شارع ألفى بك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهد البالية ودرسا على يد الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ ان مشية تشارلى شابلن فى ألفى بك قوست ساقيه تقويسا عضويا أو نفسيا ، وان أرداف اخته ثقلت بسبب اكل

التشويات والمفتقة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا بعه واتهماه بمعاداة القوميـــــة العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليـــــدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما فى هـذه الازمـة عـادا واتهماه بمعاداة الاشتراكية والفـن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الاوسط من جسم الانسان · وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية ·

وبعد صبى الادباتى وصبى النقاش وصبى الزمـــار وصبى القرداتى وصبية البليانتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسماء كثيرة غـريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خـوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعـدول فبـدا الهرمان فى شكل هنـدسى طريف شبيه بوضـع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان · وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعـة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعـــد أو تتضح فيها ملامح مميزة ·

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى اعلام الكتاب والفنانين .
كان لابد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى أمهر صانع اقنعة فى القاهرة ، وكان هو نفسه أحد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته الاولى ان يصنع الماسكات للآلهة وانصاف الآلهة والابطال رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيادة ابن سيركوف ، وابن ماركوف يعلو لغطها ويرتفع هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريد ماسكات ، نريد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لابناء الشعب الا ماسكات لابناء الذوات ، خاف ان يحرق المتظاهرون دكانه ، أو على الاقل ان يقتحموا عليه برجه العاجى نبتدول الى اسطبل ، فأخذ يصنع الاقنعة لكل من هب ودب ويوزعها على الجماهير ، وكانت اقنعته طبعا من نوع ردىء والاغلب انه كان يصب المصيص فى قالب واحد او قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اسكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام .

قال صانع الاقنعة : لا تقحمنى يا حبيبى فى مشاكلك ، انا رجل مسن واحب الهدوء وقد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى ان أرضى جميع الناس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع اقنعة

لادبـاء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ٠٠٠ هيـا اصنع اقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك ٠

قلت يائسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق مـا وراءها من وجوه ، او اقنعة شفافة تبـدى كل مـا تحتهـا من ملامح ٠ انـا اريـد ان تكون « المحاورات الجـديدة » محاورات فنية محجبـة مثـل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثـل محاورات أفلاطون ٠ الم تعلمونا ان الفـرق بين الفن والعلم هـو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك مثلا : انت قـد صنعت لنفسك قنـاعا ممتازا لبسته أكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع احـد ان يكشف من تكون أو ان يقرأ ما يـدور فى راسك من افكار ومعتقدات ٠ لـم يستطع أحد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط تماما مثـل شكسبير ـ والقياس مع الفارق ـ كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع احـد ان يحل لغـزه أو ينسب اليـه آراء أو معتقدات محـددة رغم انـه لم يكف عن الكلام طـول حيـاته ٠

قال مبتسما : ومـا ادراك ان فى راسى آراء ومعتقدات غير مافى رؤوس شخصياتى ؟

قلت : هل يمكن لانسان ان يعيش بـلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . انا اذكر ايام ان كنت مع طه حسين فى السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كانى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصه لا راس لها ولا ذنب ويبتهج امامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت أن اقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة بأقنعة استر بها وجوه شخصياتى بل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حبائل ذكرياته . واستنجدت بصديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن ـ أو على الاصح داخل ـ سيارته المرسيدس كما دأب أن يفعل كل اسبوع وانزل كلاهما عند زوجته ثم افاق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انــه لابــد مما ليس له بــد ، مادام صــــانع الاقنعة المــاهر لا يريد ان يساعدنى ، لم يبق الا ان اصنع اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة او شفافة أو لا تنـاسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعــة ، لقــد مضى الزمان الــذى كان فيــه افلاطون يــدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيباخوس وايون ·· الخ · فأدباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لا اعطيك ايهــا القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن أذكر لك اسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة التى صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطـة حتى يختلط عليك امرها فلا تميز منها أحــدا الا بحسب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

ابوالفتوح الصباح ، الخشداش أيواظ · عـــز الدين ايدمر الحيوى · خولة المايسطرية · المــاركسية المسخسخة شجرة اللولى·أبو سيفين صفيح·ابن عروس·ابن قرمط · الشاب الظريف ابوسنة دهب لولى · خليع القبيلة · المعــلم التاسع·المعلم العاشر·ناظر مدرسة ابن العميد·مجــاهد بن الشماخ · كافور الحاوى اغــا كافور الحاوى · على الزيبق الجوكى الشهير بـالزنبرك · دنانير ومعبــد واياس · عميــد الصعاليك · بازرعة بن شخبوط · اغــا طبوزادة · أبو دراس

المنوفى • الفارس المفروس • الفارس الجربوع • افندم ؟ • أفنـدم ؟ (هذا قناع وليس سؤالا) الهـر الاسود الحزين • الحرفوش بلا حركشة • كاهن انوبيس • ابن روزنبرج • أبو شوشة الحمى • ابن ماركوف • ابن سيركوف • اغـا أبـو سيفين صـفيح • تاجـر البهارات • الايديولوجى الفهلـوى • أبو المعالى قطز • الملوك الشارد • جراب اليسار مسلول • حـلاق المـلوك والفقراء • المخلص الكفء • المخلص الرأسى • الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكيه • بقال الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون مفترى • على كل لون عياش • ذو الاقنعة السبعة • جوركى المذعور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتـك الخيبان • المتكتك الشريف ••• حامل الحقائب ••• لولو الجربان • غير ما يستجد من شخصيات واقنعة ، وشخصيات بـلا أقنعة واقنعة بـلا شخصيات وعـــدد عظيـم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظـة أو لحظتين ليقولوا « نعـم يا سيدى » — ثم ينصرفون الى الابـد •

ومن غير المعقول طبعـا ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار فى وقت واحـد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية • ولهـذا كان من الحكمة ان تنظـم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيـــــــات العمومية غير العـاديه • ثم نشـات اثنـاء المداولات نقطـة نظـــام •

اعترض معترض : وهـل نحن بحاجة حقـا الى كل هذه الشخصيات لنجيب على الاسئلة التى طرحها علينـا ادبـــاء المنصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هـو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من هـذه المناقشات بلا ثمرة او يختفى الابتسام ونتضـــــارب وكأننـا اعضاء البرلمـان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنـــــا معترض على هـذه الاقنعـة التى صنعتها لنـا • خـذ مثلا قناعى • انــه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طـول الوقت أنى شخص آخر •

قلت : لا تغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانــه أبى ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شىء فى ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنــه • أى قنـــاع تقترح لنفســك ؟

وهنـا سكت على الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مـل الحاضرون •

وحل صانع الاقنعة هـذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، انـا اعـدكم بانى ساصنع قنـاعا جـديدا لكل من يضيق بقناعه ، لابـد من نقطة ابتداء والمهم ان نتقـدم من هـذه النقطة ٠

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقـد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقـا وشاع فى الاسارير سرور غامر ٠

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلا : انا اعترض على كل هـذه الماسكات لانهـا جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادبـاء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيـــون مواطنيهم ٠

قلت : انت تغـالى ٠ وما دمنـا قـد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هـو قدرة كلمنـا على ان يسخر من نفسه ومن قنـاعه ٠ واذا اردت ان تسمينى المـادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صـــبى المبشرين فلن اغضب ٠ انا اسمى نفسى مركب الموضـــوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجـدت اردأ من هـذا فاقترحه وأحمد اللـه انى لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رءوس الحيوانات ٠٠٠ كلاب وذئاب وابناء آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهـة مصر القديمة وفى اعيـاد ديونيزوس فى اليونان القديمة ولا يزالون

يفعلون فى الديانات الزوومورفية فى بعض البلاد المتحررة حديثا او فى بعض الاجناس التى لا تريد ان تنقرض مثل الهنود الحمر •

ثم لا تنس ان اقنعتى اقنعة لنماذج بشرية شائعة لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحدة وحتى هذه القوالب قوالب متكررة • ابتسم يا اخى !

واقترح آخر : مادمت تتحدث عن النظام فلابد من رئيس لهذا المؤتمر المفتوح ولابد من مقرر يدون كل الآراء •

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الاعضاء سنا •

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هذا مستحيل • فليكن نائبه هو صانع الاقنعة • هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين • هل من معترض ؟

وهنا سمعت أصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا تريد ان تقول شيئا ولكنها لا تقوله • غير ان أحدا لم يتقدم صراحة للاعتراض •

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فسيوزع علكيم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول • ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه ان يصححه •

قال المعلم العاشر : متهللا : ولكنى أريد ان اشترك فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما ما يعلمه • ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام ، وهذه ستكون مأساة حياتى •

قلت : لا بأس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون العصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رايى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة • فاذا وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» أو فى غير الاهرام ،

وآرتفعت أصوات تقول ان النشر سيحول دون الكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلا منا يلبس قناعا فوق

القناع الـذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة ٠
وطالب البعض بعقـد جلسات سرية عند الاقتضاء ٠

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهـــد الاشتراكية ٠ عـار ان يقول هـذا ادباء مصر ونحن نحيا فى ظـل الميثاق ٠٠٠ من تحرج صدره بشىء فليقله على المـــلا ولكن فى حـدود النظام ٠ الم تعلنوا جميعا انكم بنــــاة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يـدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن وللـه الحمـد جميعا نفىء بفيئها ٠ أمـا من راى لنفسه جنة غير هـــذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا ٠

قالوا صدقت : من استودعه اللـه شرف الكلمه امتـلا بالروح وحمل العبء العظيم ٠ فلنبـدأ الحوارات على بركـة اللـه ٠

× المحـاورة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الاقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضي على المنصة ، أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هـذا المؤتمر •

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنـــون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تســع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعـــل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ••• ومع ذلـــك فالينـــا بجـدول الاعمال ••• ماهى القضية الاولى أيهـا السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعـلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شـــاب فى مهرجان المنصورة ••• نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بهــا على رجل ما نستمع له أو نقرأ له أو نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صــحة ما قرأناه فى مجلة « المصور » من استشراء الرجعية فى البــلاد فى زمن الزحف الاشتراكى ؟ احمد بهــاء الدين قال ان هناك ستمائة الف رجعى مقابل ستمائة تقــدمى ٠

قال ((المخلص الراسى)) : أحمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعى ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمى ٠٠ اذا اردت احصاء التقدميين ففى البلاد ستة ملايين تقــدمى ٠

قال الايديولوجى الفهلوى : هــذا يعقد الامــور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهــذا قــد يحدث لبسا لانــه قــد يوحى بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعى ٠٠٠ والحقيقة أن البــلاد فيهــا ، منــذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمى اما الشيوعيون فعــددهم لا يتجاوز ستمائة ٠٠٠ ارجو النص يا سيدى الرئيس على هــذه الاعــداد ٦٠٠ شيوعى ٦٠٠,٠٠٠ رجعى ٦ ملايــــين تقــدمى ، والا حــدثت بلبلة ٠

صانع الاقنعة : لا داعى للنص ، فالمسألة واضحة ٠٠٠ ومن لــه تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ٠٠٠ هــذه نقطــة نظـــام ٠

الفارس المفروس : أولا انـا أحب ان اجيب على النقطـة الاخيرة وهى استشراء الرجعية بالذات فى عهد الزحـف الاشتراكى ٠٠٠ ليس صحيحا ان هناك استشراء للفكـر الرجعى ازاء التجـدد الاشتراكى لان الاستشراء لا يكـون اسـتشراء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هنـاك استشراء ان وزارة الثقافة انشـأت فى ٢٣ يوليـو ١٩٦٣ مجموعة من المجـلات تلقفتها الرجعية لتأليب المثقفين عـلى مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اهمها المغفور لهمـا « الرسالة » و « الثقافة » وقـد فعلت هـذه المجـلات كل ما فى وسعها لتلفت الانظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلـط وقطع حـديد خردة وصفائح سردين فارغة وزجـاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احـد ٠٠٠ وجربـوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقـة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لـم يجـد أحـد فى ذلك تسلية كبيرة ٠٠٠ ولما يئسوا جربـوا اللعب بالنار والفرقعات فلم يخرج منها شىء اكثر من القمـر والنجوم وبومب العيد ، اسالوا ناظر مدرسة ابن العميد . وهو رئيسهم ٠٠٠٠ انـه جالس هناك ٠٠٠ رغم كل هـذه الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة ٠ بدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هـذه الظاهرة ؟ أقـول

ان ماجد منذ الزحف الاشتراكى ليس ازدهار الرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية .

ناظر مدرسة ابن العميد : هذا كذب « الرسالة » كانت توزع نصف مليون نسخة .

صانع الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت ... احترم شيخوخة حضرة الناظر .

على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح .

الفارس المفروس : انا فقط اردت ان أوضح ان البلد بخير .

الخشداش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة» المثقفين على مبادىء الميثاق ؟

على آلزيبق الجوكى : انا أجيب على هذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجلات وزارة الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف ... الميثاق نادى بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المراة من اغلالها ، ومجلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المراة وبضرورة اعتقالها فى الحريم ... الميثاق نادى بالاشتراكية العلميه ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية ... الميثاق مجد

رفاعة الطهطاوى ولطفي السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كافحت تنظيم الاسرة · الميثاق دعا لتجديد الحياة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج على الدين والقومية وعلى تراث الآباء والاجداد ··· بل أكثر من هذا ··· فقى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ··· كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة ·

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى ·

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ··· الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعا لا يكون الا الى الوراء ··· ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة

ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبهـا العيــو
ن عـــلى الطريق مشــكلة
وتخـــال مـــدبرة اذا
مـا اقبلــت مستعجلــة
مقـدار خطوتهـا الطويــــ
ــلة حــــين تسرع انملـــــه
تهتـــز وهى مكانهـــــا
فكأنمـــا هى زلـــزلة ٠٠٠

او على الاصح : بلغـة البهاء زهير تتقـدم الى الوراء ومن يستطيع ان يتقـدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجـع الى الامام فالرجعى اذن هـو من اراد للمجتمع او لنفسه ان يرجع الى الوراء ٠٠٠ واما منشؤها فهو اعتقـاد الانسان ان حيـاة القدماء ، حيـاة الآباء والاجـداد ـ والاجداد قبل الآباء ـ كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهم متران ٠

ومن الناس من يعتقـد ان الارض سكنهـا العمالقـــة بالفعل قبل انيسكنها البشر ٠٠٠ وبالطبع فى هـذه الرؤيـا للعصر الذهبى محال ان يكون هنـاك مكان لداروين ولاماركس وعامة اصحاب التطور الساكين أو الملاعين ، لان الاحيـــاء كانوا كاملين ثـم انحطوا درجة درجة مع توالى العصـــور

والدهور حتى آلوا الى هـذا المسخ الـذى نراه اليوم ، ولـم يكونوا انواعا ساذجة ثم تطورت وارتقت درجة درجـــة حتى خرج منها انسان اليوم ٠

صانع الاقنعة : على العموم « الرســالة » و « الثقافة » اغلقتـا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ٠

الايديولوجى الفهلوى : بعـد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم ٠ أمـا الإفكار فهى لا تزال ترعص ٠ ومن وقت لآخر ينجمع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كـلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثـل الهنود الحمر والعيار الـذى لا يصيب يـدوش ٠ فيحسب النـاس انهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ٠

ثم هناك مسالة التوثيق ٠ فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هـذه المجلات ماتـت بالسكتة القلبية ٠٠٠ من قلة التوزيع ٠٠٠ سيدهش حـين لا يجـد كلمة واحـدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش ايواظ وعـز الدين ايدمر المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة انهـا كانت تقود الراى العام ضـد الميثاق ، لابـد

من سجل يعرف منــه المؤرخ ان فى السويداء رجالا ··· نحن لــم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد ·

ابـو الفتوح الصباح : اذا كانت هــذه هى الرجعيــة فأنــا رجعى ، ولتحيــا الرجعية ·

الخشداش ايواظ : فلتحيــا الرجعية ···

كوراس من عز الدين ايدمر واغا طبوزادة وابو المعالى قطــز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعيــة ·

مجاهــد بن الشماخ : أنــا سبق لى ان أوضحت كــل هذا فى مجــلة « الرساله » واثبتت ان الرجعية هى حيــاة السلف الصالح وان كل سلف صالح ··· اهتفـــوا معى : فلتحيا الرجعية ··· فليحيا العصر الذهبى ·

الخشداش ايواظ : فليحيا الآباء والاجداد ·

كــوراس ايدمروطبوزادة وقطـــز وشخبوط : فلتحيــا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف ·

كافور الحاوى : احذروا يا سادة ··· هــذا كمين ··· لا تقولوا فلتحيـــا الرجعية ··· كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية ··· وليكن هتافكم اعلى من هتـــاف التقدميين هذا منطق العصر ·· كونوا رجعيين عصريين ، وانــا معكم

انا مثــلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش واضع المنــديل فى كمى واشرب البيبة ٠٠٠ فلا يتصور أحــد انى رجعى ٠ ولكنى مع ذلك رجعى وعنــدى ان كل الرجال عبيــدوان كل النساء اماء ، انــا طبعــا لا اجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقه عمليــا ٠٠٠ وفى الثقافة مثلا ٠ كنت اساعد الحلفاء ايــام الحرب بتجنيد المثقفـــين لوزارة العالم الحــر فلما اتوكسوا فى العلمين وجــــدت ان صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى » وان اهتم بنيتشه وفاجنر ٠ فلما سطع نـجم حسن البنــــا وهنرى كوريل فىوقتواحــد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنــــا لاهــديها الى الصراط المستقيم ٠٠٠ كل هــذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان المــلكى ثم دخلت جنــة النقطـة الرابعة ٠ وهاانذا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فأنا لم اتغير ٠٠ سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت ٠٠٠ طبعــا سمعتى ساءت بــين المثقفين ولكن ماذا يهم ٠٠٠ يقولون انى انتهازى ٠٠٠ ولكنهم مغفلون لانى فى الواقع رجعى ٠٠٠ رجعى عصرى ٠٠٠ وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون ٠٠ كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبـة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا ٠٠٠ فلماذا كل هــذا الضجيج حول سمعتى؟

انـــا انتهازى ؟ فليكن ٠٠٠ ربما كنت انتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما انتهز لمبـدئى ايضا ـ اليس هـذا ما يفعله على الزيبق الجوكى ؟ هـو يفعل الشىء ويسميه « مرحلية » لانـــه جوكى ٠٠٠ لانه مولع بالسباق ٠٠٠ عنـدى أن المرحلية هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ٠٠٠ المعادل هـو القناع او البرقع ٠٠٠٠ القناع للمذعورين ٠٠٠ البرقع للضعفاء ٠٠٠ وانـــا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل ٠٠ انـــا ادخل راسا فى الموضوع الكارت على المـائدة ٠٠٠ وأنا قوى لانى حللت مشكلة الضمير ٠٠٠ لا اقنعه ٠٠٠ لا براقع لا ضمير ٠٠٠ لا نفــاق ٠٠٠ لهـذا انـــا واضح ومفهوم أمــا على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ٠٠٠ المهم ان يخـدم الانسان مبـداه فى كل زمان ومكان وتحت اى ظروف ٠٠ وما جدوى المبـدأ بغير صاحب المبـدا ؟ لهذا كان شعارى دائما « انج بجلـدك » ٠٠٠ وافضل طريقة معروفة للنجــاة بالجلـد هى تغيير الجلـد ، وعندى ان تغيير الجلـد افضل من لبس القنـاع ٠٠٠ وبـــلا قناع اقول انـــا مبدئى الفرديــة لانى فرد ٠٠٠ انا اعرف انى انـــا ولست غيرى ٠٠٠ والوجود عنـــدى مكون من « انـــا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر ٠٠ والآخرون لا وجود لهم الا من خلالى ، فوجودى هو دليل وجودهم ٠٠ انا أعرف انى فرد ولست جماعة ٠٠ وسأظل فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

٠٠ ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن فى كل مكان انى فـرد مادام كل فرد فى مصر يصر على انـه جماعة ٠٠٠ انـــا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهى كيف تكون فردا وجماعة فى وقت واحـد بالمعادل الموضوعى : أنـا والكـون طرفا المعادلة ٠٠٠ والكون هـو معادلى الموضوعى على النطاق الفلسفى ٠٠٠ فى الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية ايهـا السادة ٠٠٠ انـا اكتشفت أولا ان التقدمية هى ان اتقـدم انا فى المناصب وفى الثروة وفى السلطـة وفى السلم الاجتماعى ، واكتشفت ثانيـا ان كل الناس ادوات للتقـدم ، وبالتـالى يجب ان يكونوا ادوات لتقدمى ٠٠٠ وبهـذا اصبحت المشكلة كلهـا عندى مشكلة لغوية ٠٠٠ انـا اكتشفت ان اللغـة أداة للتفاهم ٠٠٠ أداة للاقناع ٠٠٠ اكتشفت انـه باللغـة يمكن اثبات أى شىء وكل شىء ٠٠٠ كل النـاس تحاسبنى عـلى كلامى ٠٠٠ لـم اجـد احـدا يحاسبنى على افكارى او اعمالى الفرق بينى وبين على الزيبق الجوكى هو انـه يريـد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ٠٠٠ أمـا انا فاكتفى باقنـاع الغير ٠٠ كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير ٠٠ انـا وضعت فى حجرة نومى لافتـة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ٠٠٠ ولكن المؤسف فقط هو انى لـم اصل الى شىء كثير يتناسب مع مواهبى ٠٠٠ ولكنى مع ذلك

وصلت لشيء ... ثم لابد من تفصيل لغة لكل مخاطب . مثلا : عندما تخاطب الكلب قل له : يا سيدى .. فيفرح الكلب ويعتقد انه الانسان وانك انت الكلب ... مثلا ، ان كنت فى بلد تعبد العجل ، فحش ، وارم له ... وهذه لغة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ... العجل الآن هو الاشتراكية التقدمية . حشوا أيها السادة ... وارموا ايها السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعندئذ تقدموا أنتم بالسكاكين ... أيها الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ... ايها الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيا الاشتراكية : تحيا وحدة الانتهازيين والمرحليين .

الذاتى الموضوعي : بالضبط ... بالضبط هذا من اوليات الوضعية المنطقية .

أبو الفتوح الصباح : كلا ... كلا ... فليسقط داروين ... فليسقط لامارك .

مجاهد بن الشماخ : نعم ... فليسقط المبشرون ... فليحيا السلف ... فليحيا العصر الذهبى .

صانع الاقنعة : النظام ... النظام ... فلنعد الى الموضوع ... استمر .

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ... أقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى . وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولاسيما ظروفه المنزلية ··· فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، أو يزعق فتنشـــق جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا ···· وبعضنا يتأوه على ضياع أنوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشـــــيدية ، أكثرها خرج من الف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطـــر والتطيب ويلبسن سراويل الخـز والدمقس ، ويســدلن على وجوههن نقـابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقـد جلسن على أرائك يـدندن على العـود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهنـاك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هـــذه الاجناس المنقرضة يراها السياح عـادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صـــباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى افلامنا القومية ، ولـــكن النفس تعافها لانهـا تـدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، امـا نساء الزمان الغـابر فكن يـدندن ويشخشخن كـل لرجلها فقط وهـذه مأساة عصرنا ··· هـــذه الصـورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعـــلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبـــدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى الســـوينج والتويست والروك انـد رول ويسمين هـذه الدبدبة رقصا ! كل هـذا

يــدل على انحطاط الانسانية وافول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجــالا والنساء لم يعــدن نساء وكل شيء آيل الى فساد ٠

أبو الفتوح الصباح : ما كل هــذا الكلام الفارغ ٠٠٠ نحن لــم نأت هنــا لنسمع هــذا اللغــو عن الدندنــة والشخشخة وعن النســاء المستهترات ٠٠٠ تكــلم فى الموضوعات الجادة ٠٠٠ تكلم عن مخافة اللــه ، عن الصــوم والصلاة ، عن عــدل الولاة ٠٠٠ عن تآخى المؤمنين ٠٠٠ تكلم عن وداعة القلوب ٠٠٠ عن سياسة الرعية ٠ عن تقــوى العباد ٠٠٠ كل هــذه امور تهم المجتمع ٠ أما هذه الاحــلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعــد ان فقــد الــدين سلطانه على النفوس ايام المــدنية العباسية تكلم عن السلف الصــالح ٠

المعلم العاشر : انا أبدأ بالمراة لان المراة نصف المجتمع٠ اعتقــد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقــل ، واحصاءات هيئة الامم المتحــدة تؤكــد ان عــدد النســاء فى العــالم أكثر من عــدد الرجال ٠ انا لا أستطيع ان أتجاهل ٥٠٪ من البشر ٠٠٠ حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء ٠٠٠ انــا اعتقــد ان اى كلام عن المجتمع لا يبــدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل ٠ خــذ اى شريحــة فى المجتمع تجــد ان نصفها من النساء ٠٠٠ الطبقة الحاكمــة نصفها من النساء ٠

الذاتى الموضوعى : هـذا صحيح من الناحية المنطقية ٠ الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثـم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج ارسطو فى الاورجانون ٠

ابو الفتوح الصباح : اذن دعونا من الدندنة والشخشخة وذكر هـذه المذكرات ٠٠٠ الرؤيا الرشيدية لرجـال العصر الذهبى ونسائه ليست سائدة فى عقـول الكثيرين فاكثـر المتأوهين على ضياع العصر الـذهبى لا يفتقدون ضـياع الانوثة فى النساء بـل يفتقدون ضياع الرجولة فى النساء : ايـام ان كانت المرأة مبنى ومعنى ، شكلا ومضمونا ، جـدا فى جد ، تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهرى أمـام الآخـرين ٠٠٠ اذا وقفت ، كـلا ٠ أنـا آسف هـذه أيضـا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبى ، لانها صورة أمازونية يونانية عن النسـاء المحاربات ٠ وهذه لهـا ما يقابلهـا حقـا فى الادب العربى القديم حيث نجـد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميـرة ذات الهمة وشجرة الـدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجـال للرجال مستصرخات او مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومى الذى الفـه عمـرو بن كلثوم وضاعت منـا نوتته الموسيقية :

الا هبى بصـحنك فأصـبحينا
ولا تبقـى خمـور الاندرينـا

اذا بلغ الفطـام لنـــا رضـيع

تخـــر لــه الجبــابر ساجـدينا

ملآنـــا البـر حتى ضـاق عنـــا

ونحــن البحــر نملؤه ســـفينا

ولكن هــذه الصورة برغم عــذا صورة غير تقليــدية عن نساء العصر الذهبى . فنساء العصر الذهبى كن يقرن فى بيوتهن ولا يسفرن الا لــذوى الارحام من المحارم أو الغلمان ــ دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن . وعنـــا تختلف الآراء فى تحـديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه ، فمن قائل انـــه كان يقتصر على الاوجـــه واليـــدين ومن قائل ان الخمـــار عـــادة تركية دخيلـــة على نساء العـرب ... الخ . وايـــا كان الامـر فهذه التفاصيل الشائكة كلهـا لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هـــو الصورة العامة والصورة العامة هى ان نساء العصر الذهبى كـــــن نساء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن وفى أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلــدن لهـــم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين . فاذا اخـــــذت احداهن من العلم شيئا فهو لا يخرج عن حـــدود وظيفتهــــا الاولى فى الحياة وهى الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس . قارنوا هــذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتى يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغــات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعــدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير الايقاعى امــام الجمهور • حتى غزو الفضــاء دخلت فيــه فالنتينا • وهى كلهــا معارف لا تفيــد فى طعام زوج أو انامة حليل أو تربية بنين • بــل قارنوا هــذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتى يتبرجن أمــام الخاص والعام بمستحضرات مــاكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديــور ، ويبدين فتنهن فى السينمــا والمسرح وفى الشــارع والنــادى ، ويخرجن شبه عرايــا على البلاجات • قــارنوا وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثــال الفضــيلة أمــا نساء اليوم فهن مثال الرذيلة •

ابــو الفتوح الصباح : احسنت يــا استاذ أحسنت •

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نســـاء العصر الــذهبى ؟

أبــو الفتوح الصباح : غاية فى الامــانة هكــذا كانت نساء السلف الصالح • ولــن تقوم لمجتمعنا قائمـــة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هــذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتـدرس الهندسة فى لنـدن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن البلوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيـك النـاهدتين خارجتين أول أمس من « ايرمالادوس » فى سينما قصر النيل٠

ابـو الفتوح الصباح : اخرس يـا ولـد ٠

صانع الاقنعة : التهجم الشخصى ممنوع اعتـذر له ٠

على الزيبق : متأسف ٠

صانع الاقنعة : هـل الترضية تكفى ؟

ابو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنـا ٠ وسأحطم وجهـه ٠

الايديلوجى الفهلوى : حذار ٠ على الزيبق لا يحطم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شـديدة وبقـوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا فى الهواء ٠

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نسـاء العصر الذهبى بامانة ؟

ابـو الفتوح الصباح : بالتاكيد ٠

المعلم العاشر : وكيف تأكـدت ؟

ابـو الفتوح الصباح : كيف تأكـدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكـدت ٠ هل رأيتهن بعينيك

أبو الفتوح الصباخ : ما هـذه السخافة • طبعا لا نحن نعرف هـذا من كلام السلف من كتب القدماء •

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحيـاة فى ذلك العصر •

مجاهد بن الشماخ : وهل هنالك مرآة غيرها ؟ اسألونى عن أى شىء فى أدب العرب ، من جـدى الشماخ بن ضرار فى الجاهلية الى أن غربت شـمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى ايضـا اذا اردتم وكل شىء حـدث منـذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • أمـا بعـد هـذا فذاكرتى لا تعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قـدرتى على التعلم •

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة • ولكن الدلائل تـدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنـات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم • أنظر مثـلا الى المعرى • المعرى كتب نحـو عشر قصائد فى اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هـذا ان العرب فى زمن المعرى كانـت عندهـم مدارس بنـات • ربما لم تكن أسماؤها بنباقـادن الثانوية للبنـات او مدرسة أم المحسنين ، ولكنهـا كانـت مدارس بنات على كل حال • ولو ان المعرى كتب قصـيدة

واحدة ضد تعليم المرأة لقلنا انه ربما اغتاظ من قريبة أو جارة ارادت ان تتفلسف أو تتحذلق فارسلت بنتها الى المدرسة ، ولكن عودته الى هذا الموضوع مرارا وتكرارا يدل على انه كان يناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كما كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا فى ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلك عزوف المصريين وتقتئذ عن تعليم بناتهم . واذا لم تكن هناك مدارس بنات فلابد انه كان هناك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت ... والارجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء . المدارس لابناء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات. حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما فهو يحدثنا فى « رسالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتاة مكتبة فى مكتبة بغداد ايام المأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان الجارية توفيق كانت امية ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الخطيئة وديوان ابن الزبعرى ، فلابد انها تعلمت سواء فى مدرسة أو على يد مدرس خصوصى ... صحيح ان بنات العصر الذهبى لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسة والحرب والادب وإدارة الفنادق وكن يدرن الصالونات الادبية تماما مثل مدام دى مانتنون

ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرات ، فانا لا أجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه ! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعه : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » • أنا لا اجد فرقا أبدا بين نساء العصر الذهبى ونساء اليوم • ومن رأيى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب •

صانع الاقنعة : أنت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى •

الايديولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية المطروحة أعم من ذلك • الاصوات ينبغى ان تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء أوروبا ؟

المعلم العاشر : أنا اقول ان العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق٠م٠ ثـم تبنتها الرجعية آلاوربية لتثبت ان الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى اقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء ٠

وسأعود الى هـذه النقطة بعد ان أفرغ من الكلام عن نساء العرب ، الشعر العربى وحـده كاف لاثبات ان نساء العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم ٠ امرؤ القيس مثـلا قـال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غـدائره مستشزرات الى العـلا

تضـل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انهـا كانت تتردد على الكوافير بانتظـام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكاتوجان والا فكيف استشزرت (اى اشرأبت) غـدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشـــعر المجـدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهـــو القائل فى مودة ديـل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحـــم

اثيت كقنـو النخـــلة المتعثكل

اى شعر يزين الظهر كثيفاً الخ ٠٠٠ وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط أو انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح انـه كان بلانة من طراز راق يتردد أبونيـــه على قصور أمـراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط المـلوك ٠

أبـو الفتوح الصباح : الجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبي لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيـت بعض تقاليـد من هـذا التبرج في الجاهلية المتأخرة ... العصر الذهبي يبـدأ بالمـائة الاولى .

المعلم العاشر : ومتى ينتهي ؟

صانع الاقنعة: اسحب هـذا السؤال لانه سيبـــدأ الشغب ، إنظر . هنـــاك من يصيح : العرب فسدوا بعــد الخلفاء الراشدين . الشاب الظريف أبو سنة دهب لـــولى يهتف تحيـا ذكرى ابى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبو فراس المتوفى يصيح : مولاى لا تنس الاندلسيين اسحب هـذا السؤال ..

المعـلم العاشر : سحبته . سـأتكلم عن المـائة الاولى فقط فالـكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة أنا أقول ان نساء العصر الذهبي في المـائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت في تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن أبى ربيعة :

ولهـــا اثيث كالكـــروم مـذيل
حسن الغـدائر خالك مضـــفور

وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :

سبته بوحف فى العقاص موجل
اثيث كقبـو النخلـة المتكـور

وانهن كن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه

علم ومنتفخ النطاق وثير

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصور الانحطاط كما كانوا يعلموننا فى المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

اى عضت بأسنانها على اظافرها المدهونة ، وانما كان شائعا فى المائة الاولى ٠

قال صانع الاقنعة : من اراد مزيدا من التوثيق فليرجع الى صبح الاعشى والى الاغانى ٠ لقد تجاوزنا الوقت المقرر لاستعمال المانيكير والباديكير عند العرب ٠

رفعت الجلسة ٠

× المحاورة الثانية ×

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر أوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن أبى ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المانيكير ، وأثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات . هل بينكم من ينكر هذا ؟

أبو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلابد ان الحلاقات - استغفر الله - كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين .

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف ايضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين . نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث فى الاسرة وفى الورش يلقنهـا المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحدث فى أوروبـا فى العصور الوسطى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو الفتـوح الصباح يقتـرح اذن أن يصـدر مجلس الامـة تشريعين : قانون يحرم على الرجال الاشتغال بمهنة كوافير السـيدات وقانون بالغـاء الكليات النظرية والعملية والمعاهـد العليـا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى ٠ يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ٠

مجاهد بن الشماخ : الوالى وليس مجلس الامـة ٠ فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس أمـة ولا هـذه السخافات المستوردة التى تسمونها برلمـانات ٠

صـانع الاقنعـة : نقطـة نظـام ٠ هـذا خـروج عن الموضوع ٠ موضوع نظام الحكم يبحث فى جلسة قادمـة ٠

ابـو الفتوح الصباح : قانون الكوافيرات نعم ٠ أمـا الغـاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى ٠ فهـذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية ٠ العلم نـور ٠ وكل مزيد من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله ٠ واذا كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع أن نجعلـه عيار ٢٤ ٠ وانما المهم ان يملا العلم قلب الانسان بالايمـان والفضيلة والا تذهب البنات الى المـدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبى • وقـد نسى الميثاق ان ينص على هـذا ولابد من استكمال هـذا النقص • والـزى الرسمى لنسـاء هـذا العصر الذهبى هـو الفستان المقفـل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، امـا الوجـه فيمكن ان يسفر أثنـاء المحاضرات وفى أوقات العمل الرسمية ولكن لابـد من طرحة على الراس تخفى أولا عورة الشـعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف • اسدالهـا فى الشارع مثلا ، وفى السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار • ويمكن لتسهيل هـذه العملية التحكم فى الطرحـة بكردون وبكر يثبت فى الخصر على طريقة الستائر • ثـم لابـد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال • رحم اللـه الشيخ ابو العيون •

العلم العاشر : هـذه صورة غير دقيقة عن نسـاء العصر الذهبى فمن الشعر العربى نعرف ان نسـاء العصر الذهبى كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا فى غير البلاجات • خـذ مثلا « المتجردة » زوجـة النعمان بن المنـذر ملك الحيرة كان النابغة الذبيانى يتجول فى ابهاء قصرها فرآها تتجرد •• اعتقـد انهـا كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنهـا كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبيانى فيها :

سـقط النصيف ولـم ترد اسقاطه

فتنـاولته واتقتنـا باليـد

والنصيف ليس بالضبط البيكيني ، ولكنه ازار أو فوطة أو ربما بشكير ، وعلى أيـة حال فسقوطه كشف عن كل شيء ولهذا « اتفقنا باليد » • شعر القدماء يثبت أن نساء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز • فمعلقة امرىء القيس تشير الى مغامرة كانت للملك الضليل على بلاج جلجل ، وهو شاطىء بركة بجوار البصرة فيما يقال ، فهو يقول :

الا رب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدارة جلجل

وتفسيرها في كتب العرب ان امرأ القيس لعب نفس اللعبة التى لعبها من قبله الاله كريشنا فى ادب الهنود ، ففاجأ البنات وهن يغتسلن فى بلاج جلجل واخذ ثيابهن وقعد عليها ، وابى ان يعطى كلا ثوبها حتى تخرج اليه عارية وتأخذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغدير الى الليل • وغلبهن الحياء أولا فمكثن فى الماء حتى ارتفع النهار ، ولكنهن خفن أخيرا من الألتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة على اقل تقدير فرضخن وخرجن الواحدة بعد الاخرى • وكانت اشدهن حياء حبيبته عنيزة ،ولكنها فى النهاية رضخت مع الراضخات • واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ وطربوا وغنوا ثم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعد ان فقد ناقته ، وبعد

الاقداح كانت القبلات • ولـم يكن هنـاك على بـلاج جلجل بوليس آداب ليمنع كل هـذا • فانظر كيف تقـدمت آداب المحـدثين على أداب القـدماء •

أبـو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هـذا لا يقاس عليه •

المعلم العاشر : نفس هـذا المشهـد تكرر بعـد سنوات حين نزلت البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن واذا قلت ان النعمان بن المنـذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية فما قولك فى حكايات عمر بن ابى ربيعة وغيره مع نسـاء العصر الذهبى فى المـائة الاولى ، أو على الاقـل قبل ان تسوء سمعة المجتمع العربى بما قاله ابو نواس وما فعله هـو وجيله السىء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة او نبع قرب مكـة • أو لعله غـابة تجرى فيها جـداول الميـاه كما ورد فى «اللسان» وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثـل جلجل أو غريبا مثـل الانفوشى او صعبا مثل جليمونوبـولو أو أعجميا مثل الريفييرا لنسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج جمصة الـذى كنـا فيه • من رآه ظن انـه فى فلوريـدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخجل من ذلك ومن اقام فيه نسى ان مصر تجرى فيهـا تجربـة اشـتراكية •

صانع الاقنعـة : انت تستطرد ، عـد الى الموضـوع الاصـلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعة كانت موايته الخاصة التسكع فى مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست احط من آداب القدماء ، انظر الى الدالية :

ولقد قالت لجارات لهـا
وتعـرت ذات يـوم تبترد :
اكمـا ينعتنى تبصرننى !
عمركـن اللـه أم لا يقتصـد
فتضاحكن وقـد قلن لهـا :
حسـن فى كـل عـين من تـود
حسـدا حملنـه من أجلهـا
وقـديما كان فى النـاس الحسـد

فعمر بى ابى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمرأى البنات على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على احدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م٠م و ب٠ب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فيتا » ومن « هيروشيما يا حبى » ، وهى أن يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففى شعر عمر بن أبى ربيعة انها :

قالت : وعيش ابى وحرمة اخـوتى
لا نبهـن الحـى ان لـم تخـرج

فخرجت خوف يمينها فتبسمت
فعلمت أن يمينها لم تحرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

والقرون بلا مؤاخذة هى الشعر والحشرج اسم نبع • ولو ان عمر بن أبى ربيعة كان وحده فى هذا المضمار لقلنا انها حالة فردية لا يجوز لنا أن نستخلص منها صورة رجال العصر الذهبى ونسائه • ولكن أمثاله كانوا كثيرين • مثلا عبد الله بن قيس الرقيات وهو أيضا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقد سمى بالرقيات لانه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقية ، وجميل بن معمر ، وقد كان من الشباب الارستقراطى فى بنى عذرة ، قال صراحة انه يفضل غزو القلوب على غزو الامصار :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة
وأى جهاد بعدهن اريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد

ونحن عادة لا نفكر طويلا فى الطريقة التى تسلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولييت ليقضى معها الليل • ولا اظن انه تسلق على المواسير ، والارجح انه استعمل سلما مجدولا من الحبال الحريرية • تقولون : ولماذا الحريريه ؟ اقول لتنسجم مع الجو العاطر

فى حديقة الورد ومع الليل الساجى والنسيم الهفهاف وصدح العنادل فى الليل والقبرة مع أول انفاس الفجر ٠ والفرزدق مر بتجربة مشابهة فى البصرة فيما اعتقد كما يستفاد من وصفه :

هما دلتانى من ثمانين قامة
كما انقض بازاقتم الريش كاسر
فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا
واقلت فى اعجاز ليل أبادر

الارجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤاد وجاريتها ولا تعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحد ٠ اقول هذا على الاقل احتراما للفرزدق وصاحبته ٠ وهو موقف يذكرنا بماكان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطه السريع كانقضاض الباز الكاسر يثبت انه كان يعرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك فى ان خيال الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر على الاقل فى وصف التفاصيل ٠ فهو يقول انه تدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ، اى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليل كانت فى الدور الثلاثين ، ولا اعتقد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المائة الاولى لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر ٠ ثم انه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا

الحبال حتى لا يشعروا بنا وانه افلت فى اعجاز الليل يبادره قبل ان يدركهم نور الفجر فيفتضح امرهم • فلو انه قال من هذا شيئا يمكن ان يسمع على ارتفاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحى كله على الفور وطارده العسس واهل الحبيبة قبل ان يتاح للمراتين المسكينتين ان ترفعا الامراس •

وغير عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وعبد الله ابن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجى ، وهو من ارستقراطية قريش ، وعدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم ان نساء العرب فى العصر الذهبى لم يكن يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل فى الفضيلة او فى نقص الفضيلة •

مجاهد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب لتراثنا •

أبو الفتوح الصباح : كل هذه حالا فردية لا يقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكم تدرسون هؤلاء الشعراء فى المدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغاء تدريس الادب العربى من المدارس والجامعات ؟

مجاهد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى

تحقيق هـذا التراث ونشره . نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى .

الايـديولوجى الفهلوى : ومـا اعتراضك اذن ؟ هـل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

ابـو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى . النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور .

المعلم العاشر : لا تغضب . ان شعراء العصر الذهبى لـم يكونوا يترددون على النساء الفاسدات أو على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنـات العائلات . والا فما معنى كل هـذا الاختلاس والتسلق والدخـول من الشبابيك تحت جنح الظلام ؟ وقـد عرف عمر بن ابى ربيعة وحـده منهن عـددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وعنـد وعفراء والثريا والنوار واسماء وليـلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكنـدية وغيرهن ، وعناوينهن كلهـا مذكـورة ومحققـة بالكـامل فى « الاغانى » ج ا طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن ابى ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنهـا يتبين أنهن جميعـا من اسر محترمة مع الاحترام التام لهـذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » . كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو . كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عـز » لعزة : مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمـــر بن ابى ربيعة و « كما شغف المجنون يا بثن بالخمر » فى جميل ابن معمر « ومن ذآ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيـد كما نضربها اليوم فى الاورمان او فى جنينة الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم · مثلا رسول عمر بن ابى ربيعة :

فأتاها فقـال : ميعادك السر

ح اذا الليـل اسدل الاســـتارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشـانيل والكارفن ماجـريف والاربيج والاوبيجان والشيفالييه دورسيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الاذن واحيانا فى المـلابس الداخلية · ولكن قارىء معلقة امـرىء القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقـا على الفراش ·

ويضـحى فتيت المسـك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثيـاب :

اذا قامتـا تضوع المسك منهما

نسيم الصـبا جـاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية · انظروا الى هـذه المطاردة التى قام بهـا عمر بن ابى ربيعة وصاحبه بكر على ظهـور الابل وتذكروا مـا يفعله شباب هـذه الايـــام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وامريكين سليمان باشا او فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عند برج القاهرة أو فى سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : أئمر • قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، ان نظرة
اليهم شفاء للفؤاد المضمر
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسه المتنكر
فقالت لاتراب لها : ابرزن اننى
اظن أبا الخطاب منا بمحضر
لـه أختلجت عينى اظن عشية
واقبل ظبى سانح كالمبشر
فقلن لها : لا بل تمنيت منية
خلوت بها عند الهوى والتذكر
فقالت لهن : أمشين ، أما نلاقه
كما قلت او نشف النفوس فنعذر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى الـ
عيون واخفى الوطء للمتغفر

فلمـا التقينـا رحبت وتبسـمت

تبسـم مسرور ، ومن يرض يسرر

فيـا طيب لهـو ما هناك لهوتـه

بمستمع منهـا ويـا حسن منظر

فمن كان بطيئا فى فهم الشعر فمعنى هـذا الكـلام باختصار أن عمـر بن ابى ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب أن ينفرد بهـا ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقـق الرنـديفو ٠

وفى الرائية المشهورة : « أمن آل نعم انت غاد فمبكر» « وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنت نعمت اونعمات أو نعيمة » يروى لنـا عمر بن ابى ربيعة كيف انه فعـل ما فعله دون جوان فى جناح الحريم بسراى السلطان فى استنبول ٠ اى تنكر فى زى فتـاة لكى يندس بينهن ، كـما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخـل فى مازق ثم خرج منه ٠ ولا اعتقد ان شاعرا فى ايـة لغة بلغ هـذه الـدقة فى وصف حـديث العشاق المعاميد الـذى اختلطت فيـه الدماثة بالشبق وهما عـادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهـا فتولهـت

وكـادت بمخفوض التحية تجهـر

وقالت وعضـت بالبنـان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

أريتــك اذ هنــا عليــك الم تخف
وقيت وحــولى من عــدوك حضر ؟
فــو اللـــه ما ادرى : اتعجيل حاجة
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟
فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى
اليك وما نفس من الناس تشــعر
فقالت وقــد لانت وافرخ روعهــا
كـــلاك بحفـظ ربـــك المتكبـــر
فانت ابـــا الخطــاب غير مــدافع
عــلى اميــر مــا مكثت مـــؤمر
فنت قرير العــين اعطيت حــاجتى
اقبــل فاها فى الخـــلاء فاكثـــر
فيالــك من ليــل تقــاصر طــوله
وما كان ليــلى قبل ذلــك يقصر

وهكذا قضى عمر بن ابى ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن مـــا أن أوشك الليل ان ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا منــاد : ترحلوا وقــد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصــب البنت بالــذعر بــل قالت لصاحبها : الان وقــد تنبه النـــاس ، « أشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة . فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضـــت قائلة : لا . هــذا يثبت ما يشاع عنــا ، فلنفكر فى حـــــل يسترنا لا فى حل يفضحنا ، وهكــذا كانت المرأة كالعادة اذكى

من الرجل • ولكنى يبــدو ان الخطر اقترب منهــا فقــد شحب وجههــا ، ومضت الى اختيهــا ، أو لعلهمــا مجرد صاحبتين تستنجــد بهما :

فقامت اليهــا حرتـــان عليهمــا
كساءان من خــز دمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينــا على فتى
أتى زائرا ، والامر للامر يقــدر
فأقبلتا ، فارتاعتــا ، ثم قالتــا :
اقلى عليك اللـــوم فالخطب ايسر
فقالت لهــا الصــغرى ، سأعطيه مطرفى
ودرعى وهــذا البرد ان كان يحــذر
يقــوم فيمشى بيننــا متنكـــرا
فــلا سرنــا يفشو ولا هــو يظهــر
فكــان مجنى دون من كنــت اتقــى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يــدل على ان عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة واوسع حيلــة من عشاق اليوم • أكاد اقطع بان اى عاشق من عشاق اليـــوم لــو ووجــه بهــذا الموقف لضربت معــه لخمة ولمــا عــرف كيف ينصرف •

الفارس المفروس : اسمحوا لى يــا سادة • كل هــذا طبيعى ، انتم تنسـون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية • فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنان التشكيلى فيرسم « بورتريهات » لسيدات العصر الذهبى بالقلم والكلمة بدلا من الرسم بالفرشة والالوان • وهذا يفسر انتشار شعر الغزل فى العصر الذهبى وفى « الاغانى » ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليد بن عبد الملك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بى » • والنسيب أو التشبيب نوع من الغزل • فلنقل انه وصف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشعراء ان يتغزلوا فيها حقا ، وانما أرادت منهم ان يصفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لها بورتريه أو ينحتوا لها تمثالا بالكلام على غرار ما يفعل الفنانون • وقد خاف كثير من صولة ابيها فلم يصفها بل وصف جاريتها ، أما وضاح اليمن فقد شبب بها فنال عقابه • تربص به رجال الوليد وقتلوه بدفنه حيا •

المعلم العاشر : ربما كان هذا صحيحا ، ولكنه لا يفسر المواعيد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولوج المخادع ولا المشاورت الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى افضل الطرق لدخول دنيا الحب والخروج منها • ان دراستنا للادب العربى تقف دائما عند زخرف آلالفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول ان تربط بينه وبين الحياة التى انتجته وهذا هو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العربى شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على أبنائنا

فى المدارس • أنا مثلا أعتقد ان الادب العربى متخلف جداعن الادب اليونانى ، ولكنى اعتقد انه لا يقل شموخا عن الادب اللاتينى بما فى ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد • ولكننا حنطناه لاعتقادنا ان التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه ••• ان التلميذ المصرى مثلا لا يعرف ان ابناء المائة الاولى كانوا مثلنا اناسا يحبون ويعشقون ويتألمون ويفرحون ويقتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغدرون ويخلصون وانهم كانوا مثلنا يحبون الجسد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانه لمع بينهم اقطاب الغنين مثل ابن سريج والغريض ومعبد ، وكلهم من فنانى الحجاز تألقوا فى المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الاطرش فى القاهرة الان • قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى فى العراق ، فكتب ثلاثتهم اليه خطابا يدعونه فيه لزيارة المدينة • قالوا : نحن ثلاثة بالحجاز وانت وحدك بالعراق ، فانت اولى بزيارتنا • والمهم فى هذا ما جاء فى « الاغانى » من وصف الهستيريا التى استولت على اهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب الموسيقار حنين هذا ، وهى تشبه الهستيريا التى تستولى على اهل لندن او باريس او نيويورك فيتجمعون بالآلاف فى المطارات حاملين الكورونات وكارنيهات الاتوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جونى ماليداى أو الفيس بريسلى ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء • قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم يــر يوم أكثر حشرا ولا جمعــا من يومئــذ • هــذه صورة من صور الحياة اليوميـــة فى العصر الذهبى تــدل على أن رجــاله ونساءه كانت لهم قلوب مثــل قلوبنا • فلم كل هــذه الجهامة التى ترتسم على وجــه أبــو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهــد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبى كـن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هــل اقتنعت يــا سيدى ؟

مجاهــد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بـــــل هــو اشبه بسمادير المخمورين • وانــا لا افهم كيف يــؤذن لــدعى جاهل مغموز ملبوز شرلتان مثلك ان يتكلم فى تاريــخ العرب وادبهم وانت الــذى دربك المبشرون والمستشرقــون عملاء الاستعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيـــــدة العرب •

صانع الاقنعة : محال ان اسمح بهــذا السباب • انــه خروج على الميثــاق ، ان كانت لديك وجهــة نظر فاشرحهــا ولكن حــذار من التطاول والا اخرجتك من الجلسة • أرى من حالتك النفسية انك اذا بــدأت الكلام فــلن تتوقف ، والوقت ازف • فالى اللقــاء فى الجلسة القادمة •

رفعت الجلسة •••

× المحاورة الثالثة ×

فى المـــرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم · ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب·

مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى · فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » اى يحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب · ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية • فالعرب اذن قد جعلت من السباب فنا جميلا وسمته الهجاء ••• كما جعلت من الملق فنا جميلا سمته المدح • فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعى وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد فى صديد أو من سمادير المخمورين أو انه صبى المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية فى الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقنى اليها احد من القدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجانى وابن قتيبة والآمدى وابا هلال العسكرى وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انه كرر معانى غيره أو الفاظه ويسمون هذا سرقة ادبية • وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربى على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل • فمصطفى صادق الرافعى مثلا كان يسمى عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق أو سيخ لشى الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة فى مجلات وزارة الثقافة ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفى وزارة الثقافة ادارة لاحياء التراث العربى ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث وقد أوشك هذا الفن ان ينقرض منذ ان ظهر المعلم التاسع قاتله الله أو على الاصح منذ ان عاد هو ومدرسته من أوروبة ، فأخذ يهجو خصومه فى الراى بعبارات

مثـل قوله : « فليسمح لى سيدى ان اختلف معـه فى بعض مـا ذهب اليـه ، وانا زعيم بأن اختلاف الرأى لا يفسـد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شيء فانى أوشك ان اختلف مع سيدى فى بعض مـا ذهب اليـه » وغير ذلـك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسهـا علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضـاء على البلاغـة العربية وابادة الهجاء العربى ٠٠٠ وهـل هناك أجمـل من قـول الخطيئة :

فغض الطرف انـك من نميـر

فـلا كعبـا بلغت ولا كـلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقـت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هنـاك اقـوى من قـول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ٠٠

لا تشتر العبد الا والعصـا معـه

ان العبيـد لأنجـاس مناكيـد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لمـا آل الى هـذه الكارثة الحزينة ٠ اقـول لـولا مجلات وزارة الثقافة لانـدثر هـذا الفن الجميل ، والحمـد للـه الـذى كشف الغمة وبعث مجد الآبـاء والاجـداد ، وجـدد العصر الذهبى للهجـاء ، فانا الان استطيع كلمـا خـوى وفاضى ان اقتحـم على اى كبير من كبـار القـوم مكتبـه قائلا :

فجـد لى يـا ابن نـاقصة بمال

فانى قـد عزمـت على المســير

فيخاف باسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : أو اذونات صرف ، فان أبى أن يوقع اردفت هـذا بقولى :

قـوم اذا استنبح الاضياف كلبهـم

قـالوا لأمهـم بـولى على النـار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لانـه يـدرك انى قـد بـدأت الهجاء بالام والاب ... نعم ان فن الهجاء ذن ارفع من فن المـدح لان المـال او المجـد ان جـاء عن طريق الملق كان استجـداء، اما ان جـاء عن طريق الارهاب فهـو بأس وسؤدد . وانـا لا اطالب الا بحقى فى أن اجرب بلاغة العرب فى هـذا المعلم العاشر الصعلوك ، هـو وقبيلته وقومه بعـد ان اجرده من كافة القابة العلمية التى حصل عليهـا بوسائل مريبة من جامعات المبشرين.

صانع الاقنعة : انـا نبهتك اكثر من مرة ان هــذا مناف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهـد بن الشماخ : لا بأس . لقـد صور هـذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهـد بن الشماخ : انـا لا اعترف بهـذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

مجاهـد بن الشماخ : كـلا ، فهو يناسبنى تماما ٠ وهو ليس قناعا بـل حقيقة ، فجـدى الاعلى هـو الشماخ ابن ضرار قطب شعرآء الجاهلية ، وانـا مجاهـد بالفعل ٠

صانع الاقنعة : هـو الـذى صنع لك القناع فلمـاذا أنت غاضب عليـه ؟

مجاهـد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيمـا بعـد ٠ اما الان فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كمآ زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشـا فى الحجاز فى أوائل حكم بنى امية ٠ والحقيقة ان شعر الغرام القـانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشـا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ، وانـا لا أوافق ابا الفتوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول او اعـور يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا ٠

ابـو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ انـا صديقك ٠

مجاهد بن الشماخ : انا لا اشتمك ولكنى أصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلهـا عصر ذهبى ، وكل مـا فيها ذهب ٠ حتىالجاهلية الاولى ذهبية وهـذا هـو الفرق بيننـا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب نحن نقول أن دولـة العـرب دين ودنيـا ، وأنتـم

تقولون انهــا دين فقط ، ولهـذا سنصل نحن الى الحــــكم أمــا أنتم فستمهدون لنا الطريق • انتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقول الخواجات • وهــذا هو سبب فشل جــدك الاعلى حسن الصباح مقــدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم انــه برز فى الحروب الصليبية وهو أيضــا سبب فشل ابن عمك آيــة آللــه كاشانى فى ايران فى السنوات الاخيرة • لا تترك آلدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحــــاد الاشتراكى ، وبهــذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنيــة فى حى الباطنيــة •

صانع الاقنعة : ما هــذا الكلام ! انتما تتآمران لقلــب نظــام الحـــكم ؟

ابــو الفتوح الصباح : لا • أبــدا • انــا لا تربطنى بهــذا الرجل الا رابطة فكرية •

صانع الاقنعة : نحن كنــا نتكلم فى الادب والحياة ••• فمــا دخــل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تــدخل فى كل شىء • فمثلا تعــددت الآراء فى اسباب تفشى شعر الغرآم فى الحجاز فى أوائل حكم بنى امية ، فصاحب « حــديث الاربعــاء » يقول آن شعر عمر بن ابى ربيعة وفرقة الشعراء العشـــاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارستقراطى مترف متـــأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية • وهناك رأى بأن بنى امية

ارادوا ان يستاثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ ... فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يمرحون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من الوان القذف السياسى قصد به الشعراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، الم اقل لكم ان القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الادب العربى ؟

أبو الفتوح الصباح : انا اعتقد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقيات ووضاح اليمن والاحوص والاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة أعطيت للشعراء من أقدم العصور ، والى الآن فيما اعتقد . فشعر هذه الفترة لا يصلح أن يتخذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يقتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها

شعراء صــدر الاسلام عن شعراء الجاهلية · نجـدها مثـلا في امرىء القيس ونجـدها في المنخل اليشكري :

ولقـد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

المعلم العاشر : ربما · ربما · ولكن هـذا لا يفسر كيف ان دواوين عمــر بن أبى ربيعة وعـديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هـذا المعنى : معنى التواعـد واللقاء أو التسلل الى المخادع · والارجح ان شعراء العصر الذهبى كانوا يفشرون في وصف هـذه الدون جوانيات أو على الاقـل يغالون بعض الشيء ، وهـذا ضعف انسانى تجـده في كل العصور · ولكن مجرد تفشى هـذا الاتجاه الادبى اكثر مما الفـه الناس في الجاهلية ومجـــرد سـماح مجتمـع العصر الذهبى بتفتيشه يدلان على نـوع من السماحة والقبـول لهـذه « الموضــة » الادبية · ثم اننـا لـم نسمع ان احـدا اقام الحـد على عمر بن ابى ربيعـــة رغم اعترافه بالزنـا أكثر من مائة مرة في قصائده ، والاعتراف سيد الادلة ، بـل هـو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن من النسـاء دون حرج ، واكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ومع ذلك لا يتعرض له احـد · وواضح من سير شعراء العصر الـذهبى ان ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الاخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة هن نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » . فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى اقرب لكم الصورة تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسى او عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو احمد حجازى كتب قصيدة في هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاها مع زوبة المناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفى فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم. فماذا يكون الحال ؟ طبعا قضيتان : قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امرأة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هى قضية طلاق بين محمود الدنديشى وزوبة المناويشى أو على الاقل علقة سخنة تبقى فى ذاكرة زوبة المناويشى لفترة طويلة . فسيف القانون اليوم احد من « سيوف أبيك » التى ذكرها الشاعر فى قوله : « فتكات لحظك أم سيوف ابيك » . وواضح اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين اكثر مما كانوا يفعلون فى العصر الذهبى وأننا لا نعلق

العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بـل نكتفى بما تجمعه النيابة من أدلة . وحتى لو افترضنا ان الخميسى أو القط او عبد الصبور أو حجازى مجرد فشار لا يفعل شيئا ولكنه يشنع ببنات الناس ، وان الفشر ، فشر الشعراء ، شيء معروف للخاص والعام ، فهذا قد يعفى من تهمة الزنا ولكنه لن يعفى من تهمة القذف . فاذا تصورتم ان اقتحام مخادع السيدات فى حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لم يعد موضوع قصيدة واحدة ينظمها الخميسى أو القط او عبد الصبور أو حجازى بل اصبح الموضوع المفضل عند شعرائنا واشترك فيه عزيز اباظة وعلى الجندى وعبده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقية اعضاء لجنة المدرسة العمودية حتى أصبح سمة الادب العربى فى مصر عام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم ان الامر تجاوز زوبة المناويشى الى كوكا وسونة ونوسة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هذه السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟ وماذا سيقول المؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية ٠٠ فشر يا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قرار لجنة البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طالبتنا فى الخارج ٠ ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنا فيجد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لاول مرة على خشبة المسرح ، مثل طواف : عمان عاشور وفرفور يوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبده افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها انه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده أى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنا مرآة لعصرنا ٠ وقد يكون مرآة منبعجة أو مقعرة كمرايا اللونابارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال ٠ وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكاد يكون خاليا ٠ انا طبعا افترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وإن نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتاب مسرحنا الذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه • سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ انـدثار مدرسة ابولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم • لن يجد مؤرخ الادب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا اهمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة • أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخرى اشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن أبى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجى والاخطل والفرزدق •• الخ يجب ان يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو ما نسميه العصر الذهبى • وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء ١ ـ ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشعر

السائدة فى ذلك العصر ٠ ٢ ـ انهن كن يتتبعن احـدث الازياء ويعرفن افخر أنواع الخز والحرير من الداماسية (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفـاى الى الجيبير والدانتللا ٠ ٣ ـ انهن كن يعرفن المـانيكير والبديكيـر والمساحيق من احمرى واخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المهـا ، نعرف هـذا من قول ابن الرومى فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : « تبرحت بعد حيـاء وخفـر تبرج الانثى تصـدت للذكر » ٠ ٤ ـ انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بـلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين ٠ ٥ ـ انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعـدن معهـم فى الخمائل والادغال وعنـد عيون المـاء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجـر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفرزدق ٠ وكل هـذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر الـذرى ، والارجح انهـا لازمتهن ايضا منـذ عصر الكهف ٠ الى العصر الذهبى ٠ هل قضيت على خرافة العصر الذهبى ٠٠ على الاقـل بالنسبة للنساء ؟

مجاهـد بن الشماخ : اذا كان هـذا حقا فهـو حـق يراد به باطـل ٠

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهـد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملـة شعواء على حضارة العرب لانـه سيىء النية • وهو يقصـد ان يزرى بهـا لحساب الاوروبيين المـلاعين الـذين دربـوه لهـذا العمل حتى نفقـد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهـم فى بـلادنا •

المعلم العاشر : مـا هـذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هـذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا ان يـأتى بخنجر ويشق بـه قلبى بحجة انـه يريد ان يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يـدل على عكس مـا يقول • كلامى يثبت ان العرب علموا أوربا مـودة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلموها استعمال أدوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ••• باختصار ، علموها كل مـا تصدره الينـا الآن من اسباب الحضارة فهـذه بضاعتنا ردت الينا ، وهـو نفس ما ينادى بـه مجاهـد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطة والانـدلس ومـا بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهـد بن الشماخ : انظروا ! الم اقـل لكـم ان المعلم العاشر دسيسـة ؟

كيف يقول ان العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولـدوا علماء • هـــذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقـد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه • لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » ان المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس أو لوسيان • وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وأرسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى •

المعلم العاشر : انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ، ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كأننا ننسب اليه عارا وشنارا • ومع ذلك فأنتم لا تفتأون تذكرون ان العربية هى التى اعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة • فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبة الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟ طبعا لا ••• فقد كانوا أولا وقبل كل شىء مثقفين فى اليونانيات عارفين باليونانية • ومادمنا نتحدث عن أمور الحب فى العصر الذهبى ، فأنا اقرر هنا أمام جميع الحاضرين ان أمرأ القيس كان يعرف اليونانية ••• فنحن نقرأ فى « الاغانى » ان امرأ القيس طلب الى السموأل ان يكتب الى الحارث الغسانى أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام فى بلاطه مكرما وعينه قائدا

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح ، قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك اشعارا يشهرها بها فى العرب « فيفضحها ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان امرأ القيس كان يباهى بذلك من باب الفشر ، فهل يعقل ان يقيم عاما كاملا فى بلاط امبراطور بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا ٠ وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم ترجمانا اثناء اقامته فى بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل أن قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا اكبر لانه عين فى جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع أن يتفاهم مع الصف الثانى والثالث من العمداء والعقداء والنقباء أو يجلس معهم فى مجلس حرب دون مترجمين ٠ وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا فى بيزنطة ؟ فى الفراش طبعا لغة الاشارة تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجا قط من الفراش أو انهما لم يلتقيا ابدا الا فى الفراش ؟ وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التى لا تعرفها أو باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بئس هذا الغرام الذى يحتاج دائما الى وسيط • ثم اننا نعرف انه مات ودفن فى قلب بلاد الروم • وهذا يدل على انه تردد على بيزنطة اكثر من مرة ، مات بالحلة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حين غضب عليه ••• مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريوزا حين خلعت عليها ضرتها ميديا الثوب المسموم فى حكاية ياسون المشهورة • ان اى حمار فى ظروف امرىء القيس كان لابد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بل الارجح انه تعلمها اصلا وهو صغير لانه من ابناء الملوك وتربية الامراء لم تخل من تعلم اللغات الاجنبية ومن استعمال السلاح الا فى أندر الاحوال • انا اقول لكم انكم تقتلون تاريخ العرب وأدب العرب لانكم لا تفهمون ما تقرأون بل ترددون كل ما جاء فى الورق الاصفر كالببغاوات ، وكأنه تعاويذ مختومة لا يجوز لاحد فض اختامها خشية ان يضيع سحرها • ان اشد الناس خطرا على تراث القدماء هم سدنة تراث القدماء ، لانهم الهوا السلف فحنطوا حضارة السلف وفضلوا الماضى على الحاضر وقطعوا جذورنا وجعلونا كأطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم لا يعلمون ان اباهم لا يرقد فيه رقدة الموت، ولكن ينام فى غفوة من سبات عميق •

صانع الاقنعة : انهض ، انهض يا أوزيريس انا

ولـدك حوريس ٠ جئت اعيـد اليـك الحياة ٠ لم يـزل لـك قلبك الحقيقى ٠ قلبك الباقى ٠ كفى ٠ كفى ٠ لقد اثرت فينا الاشجان وانسيتنا الابتسام ٠ ارجو يـا سادة ان تتذكروا فى المـرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا ٠ فاضحكوا واضحكوا وان لم تجـدوا مـا تضحكون منـــــه فاضحكوا من انفسكم ! والى أن نلتقى مرة اخـرى ٠ رفعت الجلســـــة ٠

× المحاورة الرابعة ×

فردوس القطط والكلاب

بعـد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليـلا وقال انـه قـد جـاءه طلب باقفـال المناقشة فى هـذا الموضوع التافه المستهلك ، موضوع المرأة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهو من اقصى اليمين ، والمملوك الشارد وهو من اقصى انبسار (واليمينواليسار هنـا أوصاف جغرافية لا سياسية) . وهنـا حـدث مرج شـديد لان خولة المـايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهماان يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه . وصاح الشاب الظريف ابـو سنة دهب لولى يطالب بفتـح باب المرأة الى الابـد وايـده فى ذلك خليع القبيلـة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما فى ذلك انهمـا اختصاصيان فى المرأة عمليـا وانهما يحبان أن يستكمـلا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هـذا

ويبتسم في خبث وأعطى الشاب الظريف شيئا من لسان الدكر واعطى خليع القبيلة جوزة من جوز الطيب فزاد تهيجهما وأخذا يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! » « الينا بالمرأة الذهبية ! » وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفا هذا الهرج بقوله :

ـ المعلم العاشر والمجاهد والشماخ وأبو الفتوح الصباح اكتفيا بدراسة احوال المرأة من خلال صورتها في الادب والحقيقة إن الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة • وأنا اقترح ان يرسم لنا احد صورتها في علم الاجتماع • أنا لا اقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمي ادعى لدقة المعرفة ووضوح التفكير •

الايديلوجي الفهلوي : انا مستعد لرسم صورة المرأة في علم الاجتماع • أنا درست •••

المعلم العاشر : أنا اعترض • ليس بيننا واحد مؤهل في هذا العلم •

صانع الاقنعة : هل ندعو استاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا • انا اعرف كل اساتذة الاجتماع الدكتور أزوز لا يعرف شيئا خارج دوركهايم ، والديك الجبار لا يعرف شيئا خارج ابن خلدون والدرفيل الوديع سيثرثر ثرثرة لطيفة عن أستاذه ايفانز بريتشارد • اقترح ان ندعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينو

فسكى وايفانز بريتشارد وراد كليف براون وهـــانز ليخت أيضـــا اذا أمكن ولوينسون •

صانع الاقنعـــة : ما كل هـذا • واحـد يكفى •

المعلم العاشر : مالينوفسكى اذن • هـاهو ذا بالبـاب أو على الاصـح شبحه مـا أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعـــة ضـوء الفكر •

صانع الاقنعـــة : ادخـل يا مالينوفسكى •

مجاهـد بن الشماخ : انـا اعترض على دعوة هـــذا الافاق الدولى عـدو العرب • انـه أوروبى نجس •

صانع الاقنعة : اسكت يا شماخ • مهنتك •

مالينوفسكى : عـالم اثنولوجيا •

أبو الفتوح الصباح : وما هـذه الاثنولوجيا من فضلك؟

مالينوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب •

أبو الفتوح الصباح : سبحان اللـه • انـا لم اسمع أبـدا بهـذا العلم •

مالينوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منـــذ داروين يـدرسون شيئا اسمه الانثروبولوجيا أى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانـــوا يـدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقيـاس جماجم الناس وانوفهم وأطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصـنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحـديد الفوارق والجوامع بـــين

الاجناس المختلفة لمعرفة ما اذا كانت الاجناس من اصل واحد · ثم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى ان يدرسوا عادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بدلا من التركيز على خصائصها السلالية · وسموا هذا انتروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هذه الانتروبولوجيا الاجتماعية وما نسميه اليوم الاثنولوجيا · كلها اسماء مضحكة · المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغوا فى احكامهم على سلالات الشعوب لمجرد استعمالهم المساطر والبراجل واخذوا يصدرون الاحكام على البشر · وكان طريفا ان نرى دعاة النازية فى البلاد الاخرى يؤمنون بهذه النظرية رغم انها تثبت تخلفهم الفطرى · مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم أنها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الذى لا يجدى معه تعليم · ولما راينا استفحال خطر هذه المدرسة راينا من واجبنا ، نحن دعاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، أو الاثنولوجيا ، ان نهاجمها بقسوة ، لا سيما واننا من انصار الديمقراطية ومن دعاة المساواة بين البشر فأثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة في خرافة لانه ليست هناك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، واعلنا أن علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قيباس اللحم والدم والعظم ووقف عند

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظـام الاسرة نظـام التوريث • نظام الحكم • نظام السحر • طقـوس العبادات • نظام البغـاء • طقوس الافراح والموالـد وكل مـا يدخل فى باب « الثقافة » و « الحضارة » و « المعتقدات » والعادات الاجتماعية • برونسلاف مالينوفسكى • فى خدمتكم • أنـا مثلا مسحت ميلانيزياوبولنيزيا ، وايفـانز بريتشـارد مسـح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى السـيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا •

مجاهـد بن الشماخ : الـم اقـل لكم ؟ ان عنـدنا من هـو افضل من هـذا المبشر الافاق • رحـم الله ابن بطـوطة والقزوينى وابن خلـدون •

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلـدون ؟ رجال عظام • سمعنا عنهم وقراناهم من الجلـدة للجلـدة فى سـنة اولى جامعة •

صانع الاقنعـة : ادخـل فى الموضوع يـا مالينوفسكى • السؤال هـو : ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هـل كان نظـام الاسرة مثلا فى العصر الذهبى ارقى منه فى عصرنا ؟ واحوال المراة واوضاعها هل كانت فى المجتمع الـذهبى ارقى منهـا فى مجتمعنا ؟ نحن رايـنـا صورة المـراة فى مرآة الادب فوجدنا ان الحـال من بعضه ، وبقى ان نرى صـورتها فى

مرآة العلم • لن نتضايق اذا القيت علينـا محاضرة بشرط ان تكون طريقة فنحن فى الاصل ادبـاء كما تعـلم •

مالينوفسكى : « انـا بوصفى واحـدا من صـفوة الصفوة فى الاثنولوجيا اقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ، أحس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا فى الموضوع ثـم احس عـادة فى النهاية أن هـذا ينطبق على ايضا • وهـذا ينصب على كل ما كتبناه فى موضوع القـرابة ، وهـذا الاحسـاس متبادل تماما » •

صانع الاقنعة : اهـذا من تواضع العلماء أم هى نكتة ؟

مالينوفسكى : مطلقا • هـذه حقيقة • وعلى كل حال مادمتم تطلبون رايى فسأكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا انتم ما تشاءون •

اين أبـدا ؟ فى العصر الذهبى • طبعـا انتم لاتقصدون حواء فى الجنـة قبل سقوط الانسان ، فهـذه المرحلة معروفـة للجميع • سابدأ اذن من نقطة غير معروفة وهى بدايـة تاريخ حواء على الارض أو بناتها بتعبير ادق • فأول اثر وجـده علماء الآثـار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو٢٠٫٠٠٠ سنة ، اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنسـاء ولحيوانات • طبعـا المراة كانت موجودة على الارض قبل هـذا التـاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكنى اتكلم عن اى أثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية • اكتشفت هذه التماثيل فى اواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفييرا الايطالية • وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطاق : ومن تواتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا ان نساء العصر الحجرى كن جميعا مريضات بمرض تضخم العجز • ولكن هناك احتمالا بأن يكون هذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير • فالفنان القديم لم يهتم بأن يبين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب أو الاخصاب ام انها كانت تمثل نساء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هذه التماثيل اسم « فينوس جريمالدى » تشبها بقولهم « فينوس ميلو » •

صبرى النقاش : هذا يثبت ان فن النحت فن قديم جدا

مالينوفسكى : لا شك • لا شك ، ٢٠٫٠٠٠ سنة

علـى الاقـــل ، أى مـا قبـــل التـــاريخ • وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمـد السكة الحـديد فى قريــــة ويلنـــدورف فى النمســا على شــط الدانـــوب رســما أحمــر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهـــو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٠٠٠ سنة ، وقـد حفر فى الحجر بآلة حـادة أو ازميل ، ويقال انــه اقـدم نموذج معروف من فن التصوير وهـو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليـا منـذ ٢٠٠٠٠ سنة على الاقـل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعـا بالنسبة لاذواقنا • ولكن الغريب ان هـذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحليـة على الراس يظن انــه كبود • تصـوروا ! حتى فى العصر الحجرى القـديم تفكر المراة فى زينتهـا قبـل ان تستر جسدها ! وغير معروف ايضـا ان كانت « فينوس ويلنـدورف » او حـواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امراة حقيقية • كذلك عثر علمـاء الآثار فى استوريتز عـــلى صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثـل منظرا غراميا : رجل عـاز ينظر فى ضراعة الى امراة عـارية وقـد رفع يديه وكانه يتوسل ، وعلى فخـذ المراة رسم الفنان سهما رمــزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بان الفنـان الاول لـم يكن متبذلا كبعض فنـانى اليوم ، ويثبت أن انسـان

العصر الحجرى القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية ٠ وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما فى كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المرأة اختلط فيها السحر بالدين ٠ أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله ٠ ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التى وجدها علماء الآثار بكهف فى فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٫٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امرأة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه فى سلتها ولكن جسم هذه المرأة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المرأة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٫٠٠٠ سنة ٠ وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل ٠ أنا دافعت عن حق العمل للمرأة فى احد مؤلفاتى على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى ٠ حولت رجلا الى امرأة وامرأة الى رجل لاثبت حق المرأة فى العمل فظن الاغبياء انى أدعو لحق الرجل فى الحمل وانا اقطع بأنها كانت دسيسة رجعية ٠

ابو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا فى الصورة لوجدت ان المرأة لم تكن تعمل طبيبة أو محامية

أو مهندسة او موظفة ولكن كانت تعمل فى جمع الشهـــد ، اى تعمــل فى التدبير المنزلى وهــذه بالضبط هى الوظيفــة الطبيعية للمرأة كما قلنــا ، ولمن تجمع المرأة الشهد ؟ طبعــا لزوجها واطفالها • وهــذا بالضبط ماندعواليـــه : ان تجمع المراة الشهد لزوجها واطفالها • وان تعمل وتعمل وتعمل ولكن فى التــدبير المنزلى فقط • برافو يا خواجه مالينوفسكى ، لاشك ان العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيــا وانتــم تسمونه بالخطــأ عصرا حجريا •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهــلا • يــا ابــا الفتوح ياصــباح • أنــا موافق على ان تعمل المراة فى التــدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلهــا •واذا كانت المراة منــذ ١٦٫٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيــــديها فى سلتهــا لاسرتها بوسائل الانتاج البدائية هــذه فقــد تقدمت وسائل الانتاج بعــد ١٦٫٠٠٠ سنة وأصبح فى امكانها اليوم ان تــدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافــة انواع المربات وتعليبها بالوسائل الآليــة فى البرطمانات او الصفيح للاسرة الكبيرة وهى اسرة المجتمع كلــه بــدلا من حجزهــا فى بيت سيادتك لتصنع لك وحــدك مربة الخــوخ والمشمش ولــكى تتمكن المــراة من ذلك يجب ان تدخل كلية الزراعة • وقياسا على هذا يمكنهــا تربية العجول والاغنام وانتــاج السمن والزبــد والجبن للامــةكلهــا بــدلا من تربية

ديـك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك · أيها التقدميون !
اهتفوا معى : فلتحيـا الاثنولوجيا !! فلتحيـا الانثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : إنــاسعيد بهـذه القاطعات أيها السادة وارجوكم ان تقاطعونى كلما استطعتم ، فهـذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هـذه أطول مـدة ممكنة ، وهـو ثالثـا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البـديع اثنولوجيـا فانـا ارى امامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكيـر والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل · مثلا كل هــــذا الانفعال الجميل بسبب ان المراة تعمل أو لا تعمـــل ، نحن نسينا هـذا الانفعال فى اوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى منـذ الانقلاب الصناعى · واذا كان يهمكم ان تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمراة ، فالمراة العاملة بالمعنى التـام بـدأت منـذ انتهـاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منـذ نحـو ٧٠٠٠ سنة ، امـا عصر الرعى فلا داعى للكـلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمراة لان الرعاة قـد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتـاتا وكانت أول الاعمال التى قامت بها المرأة رسميا منـذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعـة المنسوجات · وأعتقـد ان المراة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هـذه الاعمال ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبنـاء عليـه يجب ان نطالب للمرأة بادارة اراضى الاصلاح الزراعى وبادارة مصانع النسيج فى المحلة الكبرى وكفر الدوار وشبرا الخيمة ٠ بهـذا نمارس المرأة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها منـذ ٧٠٠٠ سنة ٠

مالينوفسكى : هـذا شأنكم وانـا لا ادخل فيـه والا تلتم عنى انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نسـاءنا يحكموننا ٠ انا مثلا كنت اسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى ولا استطيع ان اتأخر فى النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعـد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعنـدما اريـد أن اسمع باخ وموزار تفرض هى على سـمـاع تشايكوفسكى وشوبان لانهـا رومانتيكية فأحس بحـاجة الى القىء ٠٠٠ حتى الوان بـدلى وكرافتاتى تختارها لى ٠ ولكن صدقونى ، ان الحالة كانت اسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، أليس هـذا ما تقصدون ؟ أى عصر قـديم هـو العصر الذهبى ؟ كانت الحالة اسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ أو عـلى الاصح قبل اكتشاف الزراعة ٠ فقـد كان النسـاء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن فى قبائل كثيرة نظـاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية » اى « حكومة النساء » وهو مثل قولنـا « ارستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب ٠ وقـد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر ان سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفى مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام فى بعض مجتمعات الانسان التاريخى · وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور فى العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال أفلاطون دعوا لها · وافلاطون فى « الجمهورية » اوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين فى المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى الجازى ، وأوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهى الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية من أرباب المهن والحرف · على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المراة مكانا ممتازا فى المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة فى إقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى وغير المنزلى ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انا اتلمظ ·

أبو الفتوح الصباح يصر على تسمية هذا المجتمع بالمجتمع

الـذهبى . هـو يمجـد الفطرة اعطه مزيـدا من الفطرة يـا خواجة مالينوفسكى .

ابـو الفتوح الصباح : اعـوذ باللــه ، اعـوذ باللــه .

مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبـدأ شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم » وكان اول من لفت النظر الى وجود هـذا النظام الاموى مبشر جزويتى اسمه لافيتو ، كان فى أوائل القرن التاســـع عشر يـدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجـد هـذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر .

مجاهد بن الشماخ : الم أقـل لكـم ؟ المبشرون دائما وراء هـذه الافكار الحقيرة المفسدة .

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى . انت على حق الى حـد مـا ... هكذا بدا الامـر فى أول الامر ، لانه لم يتجول فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين . منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانــين ، وربمـــا بعض الجواسيس المثقفين ،فهـل معنى هـذا ان منابع النيل غير موجودة ؟ لمـاذا لا تتشبهون بنـا ؟ انتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمـدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد من هـؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصـل بهـا ولهجاتهـا ونظمهـا ودياناتها وكتب عنهـا تقـارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى فى زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائدة عظيمة • وعلى كل حال فالاوربيون كانوا منذ ١٥٠ سنة مثلكم تماما ، فحين اعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمع الاموى (نسبة الى الام لا الى امية) صدمت آراؤه ابناء عصره ولم يقتنع بها الا الاقلون • حتى نشر باخوفن الالمانى كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة فى اوروبا كلها واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعية خطيرة • كانت نقطة الابتداء عند باخوفن مارواه هيرودوت من أن أهل ليسيا كانوا يسمون ابناءهم باسم أسرة الأم ، نأخذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدماء ، وتوصل الى وجود مجتمعات عديدة تحكمها المرأة ونظام الارث فيها يتبع الخط الاموى • وحتى فى بلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى ان اسماء القبائل المؤنثة مثل ثعلبه ومرة وقضاعة وامية ليست الا بقايا مجتمعات اموية قديمة جدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نساء وبقيت الاسماء بعد انتقال هذه القبائل الى مرحلة المجتمعات الابوية • ولم يكن باخوفن هذا رجلا تقدميا يطالب بتحرير المرأة واشراكها فى مسئوليات الحكم بالحق وبالباطل بل كان على العكس من ذلك رجلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المرأة ويعتقد انها مرحلة تخلف

وانحطاط وبدائية • فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى الحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع ••• وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى مصلحة الانسانية وتقدمها • فعند باخوفن ان المرأة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعا ارقى من سيطرة الجسد والفطرة • هذا على كل حال رأى باخوفن وحكمه وليس رأيى وحكمى فأنا ليست لى آراء واحكام • انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاما • وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادت بامتياز الرجل على المرأة ، ولكن الذكور فى أوروبا كانوا اغبياء لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لانه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرة وفى المجتمع • والحاكم الطارىء يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل •

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحمر الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعات

القطيع وظهور بـدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالهـــا حرم عليهم ان يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقـاء الزواج جماعيــــا لا فرديا ، وهو مـا ابقى المجتمع تحكمه المراة فى كل مـا يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعـدم تحديد الآباء ٠ ولكن مـا ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج ، اى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور المـلكية الفرديـــة ٠ وانتقلت السيادة للرجل باعتبار انه الاقوى والانشط فامتلك الرجلْ المراة وفرض عليها التخصص لـه بينما احتفظ لنفســه بحقْ التعـدد الى مـدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى اولاده هـو لا الى أولاد الرجال الآخرين ٠ وهكـذا انتقـل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور المـلكية الخاصة ومعـه ظهر نظام الرق الـذى لم يكن معروفاً فى الشيوعيـــة الاولى ، ظهر نظام الرق لمـا للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحـة الارض والزراعة بوجه عـام ٠ وبهـذا كان اكتشاف الزراعة هـو الخـط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة المـلكية الفردية وهكـذا كانت مرحلـة الملكية الفردية بدايـة ظهور نظامين من اهـم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المراة هـو راس الاسرة وراس القبيلـة وراس الدولـة وراس كـل تنظيـم اجتمـاعى ٠ وتوالـت الدراسات لتؤيـد جوهر هـذه النظرية بين الهنـــود الحمر والاسكيمو وزنوج افريقيـا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولوينيزيا ٠٠٠ الـخ ٠ أراكم تتثاءبون يا سـادة متأسف انى لست مسليـا بالشكل الكـافى ٠

القـط الاسود الاليف : لا ٠ لا ٠ هـذا الكلام مثير ٠ انـا شخصيا متحمس ٠ انـا رايت بعض مظـاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندمـا زرت المـلكال فى العام المـاضى ٠ وانـا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان ٠ الحب والغيرة ٠٠ كـل فنـان يجـب أن يهتـم بالحـب والغيـرة ٠ ورأيى ان انسان الغابة ارقى من انسان الفيللا ٠٠٠ انـا بورجوازى ولكنى متحمس لهـذا الكلام ٠

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحـدك المتحمس قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس وانجلز وببيل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المراة ٠ انجلـز وببيل بالذات اقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعـا ـ لاراء مورجان وفصلوا منهـا ثوبـا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية : مادام نظـام الاسرة وسيادة الرجـل قد ظهـرا

ـ كنظام الـرق ـ بظهـور المـلكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفي نظـام الاسرة وستختفى سيادة الرجـل وسيختفى نظـام الـرق • فى البـدء كانت شيوعية الفطـرة وفى النهـاية ستكون شيوعية المـدنية • المـلكية العامـــة لوسائل الانتاج ••• الآلى والحيوانى والنباتى ••• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشـبه البيوت التى يبنيهـا الاطفـال بالمكعبـــات •

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة •

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنهـا سـابقة لاوانهـا عمليـا •

ابن ماركـوف : الفرق بين زراعـة أبنـــاء الاسرة وزراعة أبنـــاء الدولة هـــو الفرق بين الكولخوز والســــوفخوز • وبالتقـدم من الاشتراكية الى الشـــيوعية ستتقـــدم من الكولخوز الى السوفخوز • الفكرة صحيحة نظريـا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها •

ابـو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعـة هل انت نائم ؟ ارحنـــا من هـذه الحقـارات والتهجـم على المقدســات والا خلعت هـذا الحـذاء ، اطرد هـذا الخواجه وكل هـــــؤلاء الضبيـــة •

مالينوفسكي : ولمـاذا تطردنى ؟ انـــا من رأيك ولـكن لغير الاسباب التى تبديها • نحن فى أوربا نرد على العـلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات . كنا مثلكم واغضع منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم التفتيش ونحرق خصومنا فى الراى على الخازوق . ولكننا اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها اشتعالا كما حدث فى تاريخ الايان والمذاهب الكبرى وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات ... بالحوار . بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات وفى الاذاعة والتليفزيون وهم يفعلون مثلنا فى امريكا ، وقد بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ أيضا فى الاتحاد السوفييتى بعد موت ستالين . المسألة بسيطة . نحن اكتشفنا ان القردة العليا متخصصة فى الزواج وان هذا من أسباب تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا . اكتشفنا ان التخصص فى الزواج أو ما نسميه نظام الاسرة ليس اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه اختراع انسانى عظيم لا يقل مثلا عن توليد النار أو اختراع العجلة او تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول أو من الاسباب الاولى فى الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة اسمها أسر كان معناه تعيين معلم او معلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين دون ان يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم ومعلمة على كل عشرة اطفال . باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لا تربيه غيـر امــه ، وهى عــادة مشغولة بأعمال الاسرة المبـاشرة · أمـا فى مجتمع الاسرة فالاب يساعـد الام فى تربية الطفل · وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك أمـا الاب فيعلمه كيف ينتج · المسألة ليست ان امتياز الرجل على المرأة هـو الـذى خـلق الحضارة كما كان يقول باخوفن · المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عـدد اعضـاء هيئة التـدريس فيه فنشأت الحضـارة وقـد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجـه عـام اخلص فى تعليم الابنــاء من الغرباء لانهم أولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم · وكل هـذا بالمجان · تصوروا · وانتم فى مصر شعب حكيم ، فقـد بلغنى ان عندكم مثلا يقول فى وصف خيبــة الامــل : « ياباني فى غير ملـكك يا مربى فى غير ولـدك » · واذا كان عقوق الابنــاء مشهورا فمـــا بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية · وهـذه الثورة ساعـدت على نقـل الانسان من الهمجية الى المـدنية · صحيح ان ظهور نظـــام الاسرة ترتب على ظهور نظام المـلكية الخاصة ولكن العودة لنظـام المـلكية العامة لا يستلزم بالضرورة العـودة لنظام الزواج الجماعى هـذا تكون غباوة لان معناها التنازل عن اختياركم عن نحـو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفـرغ مجــانى · وفى

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد انهم قرأوا هـذا الكلام فى انجلـز وببيل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الاسرة بعـد ان عـدلوا بعض قـوانين الزواج البالية • وهـذا مـا فعلنـاه نحن ايضـا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظـــام الاسرة •••

لا تخـافوا يا سـادة • انـا لست شيوعيا ولكنى اقول لـكم انه ليست هنـاك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناهـا العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم ان تؤمموا كمـا تشاءون اذا وجـدتم فى هـذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظـام الاسرة • انـا شخصيا لا أوافق على نظـام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شـديد حملة التشهير بالاتحـاد السوفييتى التى قامت بهـا صحافتنا الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عـادوا ـ جنسيا ـ بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب • انهم مازالوا مثلنـا اقرب الى القردة العليا •

صانع الاقنعـة : هل انتهيث يـا خواجه ؟

مالينوفسكى : انـا لم انته بعـد ••• أنـا تعبت •

صانع الاقنعة : انت ممل جـدا ولكنك مفيد • سنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ••• حتى يـوم الجمعة القـادم •

رفعت الجلسـة •

بتاح / حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجة مالينوفسكى : ــ تفضل يا خواجة · قل كل ما عندك فى جلسة واحدة · هذه ليست أكاديمية ولا قاعة محاضرات ، انمامجردحوار فكرى ··· ثم ان بعض الاعضاء مستاء من تجديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فورا الى وطنك بأول طائرة ·

مالينوفسكى : انا لا وطن لى · العالم كله وطنى · الستم تقولون فى بلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ أنا عالم : اذن لا وطن لى · انظروا الى اسمى : مالينوفسكى - أى روسى بولندى · ومع ذلك أقيم فى انجلترا وادرس فى جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم ·

ابن ماركوف : أبيض أو احمر ؟

مالينوفسكى : لاابيض ولا احمر ، أنا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هـذا اللـون الثالث ؟

مالينوفسكى : أنـا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كمـا تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لهـا لون محـدد . هى تخـدم فى كـل نظام ، ، تماما مثـل البيروقراطية ، وتماما مثـل طبقة المديرين نحن مثـلا ندرس الاجناس أو نصنع الصواريخ أو تدعونـا البـلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميـزان المدفوعـات او آلانفجـارات السكانية أو التنميـة الصناعية ، نحن لا نسأل : ما لونكم ؟ راسمالى ؟ شيوعى ؟ ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلمـاذا تسألوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هـذا صحيح . بعضنا فعـلا خبراء فى نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انـا لست منهم ، لو كنت منهـم لكانت مسـز مالينوفسكى تصيف فى دوفيـل وبياريتز ولاتوكيه بـدلا من ان تصيف فى برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . انـــا مجرد خبير اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا أن تعرفوا مـــا اصل عـادة الختان عندكم رغم عـدم النص عليهـا فى ديانتكم او لمـاذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، أو لمـاذا تقاومون دعـوة تحـديد النسل رغم انكم مهـــددون

بمجاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليونا . فانا فى خدمتكم · كل ما اطلب هو عقد عمل خمس سنوات قابلة للتجديد لمدة اقامتى ، انا شخصيا من نوع التكنوقراطية التى تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء وافكار السلام وافكار الدمار ولا يهمها من يستعملها أو لماذا يستعملها ، ضمير مهنى ، نعم · اما ضمير انسانى فلا · نحن خدم ممتازون فى كل دولة · أو على الاصح كنا خدما ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما زاد عددنا بتعقد المدنية تكونت منا طبقة لا تستطيع اى دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان فى بلادنا : يا تكنوقراطى العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ، ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل فى اى نظام · انتم مثلا ، انا اقمت بينكم اسبوعا واحدا وعرفت للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقى تكنوقراطى - بيروقراطى - ادارى لمكافحة تقدم الاشتراكية فى بلادكم ، وهذا مالوف ، ثم زواج مصلحة غير مالوف بين انتهازية اليمين وانتهازية اليسار ، انتم بحاجة الى خبير أو خبراء فى التنظيم الاجتماعى انا ارشح لكم صديقى البروفسور ··

صانع الاقنعة : ما كل هذا الاستطراد يا خواجة ؟ انت جئت لتحدثنا عن حال المراة الذهبية فى العصر الذهبى ،

فما كل هـذا اللغـو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ٠٠٠ ادخل فى الموضوع والا فاسكت ٠

مجاهـد بن الشماخ : الم اقـل لـكم ان هـذا الاوروبى النجس لا يريد ان يعود الى بـلاده ؟ هل سمعتم ؟ انـــــه بطلب عقـد عمل ٠٠٠ اطرده ٠

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى ٠

كاهن انوبيس : انـــا احتج على الخواجة مالينوفسكى اذا استمر فى الكلام ، هـو حدثنا عن حـالة المـراة الذهبية فيما قبل التاريخ ، وهـذا حقـه لانـه اختصاصى فى مجتمعات الفطرة الذهبية ٠ امـا ان يدخـل فى التاريخ فهذه اسـاءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى ٠ اذا تكلم مالينوفسكى عن قدمـاء المصريين فسأنسحب ٠ لن أسمح ان يعامل قدمـاء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى ٠ الينـا بمؤرخ ٠

مالينوفسكى : انتم فعـلا بحاجة لمؤرخ ٠ الى متعهـد توريـد حضارات قديمة ووسيطة وحديثة ٠ انـا سـعيد يا سـادة بأنكم اصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ لابـد ان هـذا حـدث بعد ثـورة ١٩٥٢ ، فقـد كنـا أيـام فـؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشـارا ماليا ٠ انـا اعرف طبيبا بيطريا كان يـدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقل انتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى · والحواة ارقى بكثير من هذه الحثالة · فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هو الذى كتب اعمال شكسبير وان عباس بن فرناس هو الذى بدأ فى غزو الفضاء وأن اللغة العربية اقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وأن المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وأن خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية · وحواة الاقتصاد يثبتون لكم كل يوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشة فى انخفاض مستمر وأن القاهرة أرخص بلد فى العالم وان نسبة نجاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانه انفع للاقتصاد القومى أن يبيع خريجو الجامعات الزائدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمحو الامية ، وأمهر هؤلاء الحواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سأنسحب فورا أيها السادة · واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع · اذا اردتم مؤرخا ، فلماذا لا تدعون صديقى السيز جيمش فريزر او هيكله العظمى على الاصح ؟

كـاهن اتوبيس : نحن نعـرف من ندعو يا خواجـة ٠ كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايــه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : لـماذا تختار هـذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن اوتوبيس : انــا لا اختار ، هـذاا احسن الموجود٠

مجاهد بن الشماخ : انــا معترض على دعوة هـــــذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، الا ترون ان اسمــــــه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، او ايـــف اوافسكى او انسكى موضع ثقــة فى اى علم من العلوم ٠ مثلا مندليف حجــة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجــــة فى الرقص ، وليونتييف حجــة فى الاقتصاد وزينوفييف حجــة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجــة فى البيولوجيــا وتيتــوف حجــة فى غـزو الفضاء ومولوتوف حجــة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجــة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفســـــــكى وماياكوفسكى ، ثم لا تنسبوا أيضا من ينتهون بمقطع اين مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين ٠ كلهم كلهم موضع ثقتنــا ٠

ابن سيركوف: لا ٠ لا ٠ روستوفيتسيف امريكى من اصل روسى ٠ ثم انه ليس شيوعيا ٠

ابن ماركوف : ولو ٠٠٠

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ما قلته من انه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى ٠

صانع الإقنعة : يبدو ان الاغلبية موافقة ، ولكن لغير الاسباب التى ابداها مجاهد بن الشماخ ٠٠٠ ادباؤنا لم يسمعوا بعالم فى التاريخ القديم بعد شمبوليون وماسبيرو ومرييت لان هناك شوارع بأسمائهم حول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى الشوارع شارع احمد باشا محرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الملاخ فلن يعرف ادباؤنا احدا من هؤلاء الخواجات ٠٠٠٠ القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنا موجود ٠ سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارعه فالغينا وجوده ٠ هل توافقون على دعوة شمبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة ٠ ادع برستيد أو اليوت سميث أو فلندرز بيترى ٠

أصوات كثيرة : موافقون ٠ موافقون ٠ الدهن فى العتاقى

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة ٠ أدخل يا شمبوليون

وهنـا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخــــل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ٠

شمبوليون : أنا مت منـذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين ٠٠٠ ولكن اردنـا ان نعرف منـ شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنسـاء اليوم ٠ هنـاك بيننـامن يقول ان نساء الزمان الغابر كن افضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغـابر انا انبـه على جميع الحاضرين ٠٠٠ ممنوع المقاطعة ٠

شمبوليون : انـا لا اعرف حكاية افضل واردأ هـذه ٠ هـذه احكام ، وانا لا اتعامل الا مع الحقائق فقط ٠

ابو الفتوح الصباح: يعنى ان نساء زمـــان كن اولا يقبلن حـــكم الرجال ولا يفكرن فى هــــذه السخافات التى يسمونها اليوم تحرير المراة ٠٠٠ وكن ثانيا اكثر عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق ٠

شمبوليون : عفـــة ؟ هىء ٠٠٠ هىء ٠٠٠ هىء ٠٠٠ اين ؟ فى اليونان ؟ انت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنستراكن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى اكثره منسوج حول نساء خائنات أو ضاريات ٠ فى مصر القديمة عندكم قصة زليخـة امرأة

العـزيز تتردد كثيـرا فى الادب المصرى القـديم • مكـررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصة المراة عاشقة الفتى الذى أكله التمساح المسحور وغيرها • أليس الادب مرآة الحياة ؟ أمـا فى بابل فهيرودوت قبـل نحـو ٥٠٠ ق٠م (١/١٩٩) قال ان كل امراة فى بابل ، يعنى العـراق ، كانت قبل زواجهـا تذهب الى معبـد عشتروت ربـة الاخصاب وتسلم بكارتهـا لاحـد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعـة من النقود • طبعـا هـذه كانت طقوسا دينية • نـوع من النذر كما تسمونه هنـا ، لربة الاخصاب ، او قربانا تقـدمه المرأة لربـة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هـذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هـذه عفـة ، فـلا بأس ، لا بأس ، فى امريكا اليوم كثير من البنـات يقمن بهـذه الجراحة قبل الزواج عنـد الطبيب ، لاسباب صحيـة لا لاسباب دينية • تعـددت الاسباب والفعـل واحـد •

ابو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه اعوذ باللـه •

شمبوليون : اما حكاية خضوع المرأة لولايـة الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجـه عام : صحيحة بين اليونان صحيحة بين الرومـان • المجتمـع الوحيـد الذى شـذ عن هـذه القاعـدة هو المجتمع المصرى القديم •

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المراة • مثلا فى برديـة آنى

(نحو ١٣٠٠ ق٠م٠) ما يثبت ان الزوج المثالى فى مصر القديمة هو الذى كان يغسل الصحون مع زوجته ويقشر معها البطاطس مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند . فلا يستعمل معها « المريسه » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شىء اين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ٠

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك ان تعرف اعمالها الحسنة » ٠

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها ٠٠»

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى يرمطونا عند المراة الذهبية ٠ وكانت المراة المصرية تسمى « نبت بر » اى « ست الدار » أو « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، أو على الاصح جمهورية البيت الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس أو شابيرون او رقيب وكانت طبعا سافرة ٠ وقد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصرالقديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ... على اى حال فى كل تاريخ بابـل واشور لا نسمع الا عن اسم ملـكة واحـدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسسة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقة المشهورة • اعتقد انكم فى القاهرة اقمتم فنـدقا لتخليـد ذكراها ، وفى أعـلاه روف جاردن لتخليـد ذكرى الحدائق المعلقة • أمـا فى مصر فقـد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : احيـانا بمفردهن واحياناً مع ازواجهن • احيانا بقـــوة القانون واحيانا بقوة الواقع • خـذوا مثلا نايت حتب زوجـة مينـا ومريت نايت زوجـة أوسافايس وحتشبسوت اخـت تحتمس الثـالث وتـاى ونفرتيتى ونفرتـارى ونيوتوكريس وكليوبترا •

خولة المايسطرية : لا تنس شجرة الـدر يا خواجـة شمبانيا •

شمبوليون : بالضبط • بالضبط • وحتى بعـد انتشار اديان التوحيد كان عنـدكم هيلانة المصرية امبراطورة بيزنطة وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست المـلك وشجرة الدر ولو انـا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجـدنا شعبا سلم ذقنه للنسـاء الملكات قبل الشعب المصرى • مجرد الاحصاء يكفى • طبعـا هـذا لا يـدل على الضعف لانكـم لاشك كنتم تضربون نساءكم عنـد الضرورة كما كنـا نحـن

نفعل منــذ قرون • ولكن هــذه مسالة أخرى • انما يــدل هــذا على ان المراة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من اقــدم العصور • فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات فيفنون الحب والحرب والسلام ، كمــا كن ماهرات فى الدسائس لحسابهن الخــاص ولحساب الدولة • ونحو عــام ١٥٠٠ ق٠م٠ استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لــدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجردامراء يحملون لقب « زوج الملكه » على طريقة دوق ادنبره الآن فى انجلترا • وطبعــا هـــــذا الاسراف فى تحرير المرأة ، ككل اسراف • كان له رد فعل شديد ضــد حكم النساء ، فقامت حركة بقيــادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هــذه الحركة فى النزاع المشهور بــين تحتمس الثالث واخته حتشبسوت • ولكن المراة المصريــة مع ذلك لم تيــآس • فبعــد ان ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبــد ، ونحــو القرن ٨ ق٠م٠ اى فى الاسرة ٢٣ ، اصبحت احــدى الاميرات رئيسة الكهنــة بمعبــد آمون فى طيبه ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقــد كان الاله آمون يتكلم من فمهــا وينطق بلسانها ، قبــل اتخــاذ اى قرار سياسى خطير • ولــم يكن مسموحــا لهــا أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن ســمح لهــا أن تتبنى بنتــا صغيرة تــدربها لتخلفهــا فى وظيفتها • وبذلك أصبح

معبـد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر ٠

والمراة المصرية لم يقف نفوذهـا عنـد السياسة بـل بذلت سيطرتها فى البيت أيضـا ، لدرجـة ان الرحـالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها ٠ ديودور الصـقلى مثلا كتب ان طاعـة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليهـا فى عقود الزواج فى مصر ٠ ولكن الارجح ان هـذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنـكت التى يطلقهـا عنـدكم البحـاروة عن الصـعايدة والصعايـدة عن البحاروة ، وصديقى العلامة فلنـدرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقـد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبـه المستقبلة » يعنى المثل عنـدكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار ٠ على العموم أى انسان معـذور اذا استخلص هـذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرا فى قصيدة غرامية كـلام البنت وهى تقول للولـد :

« يـا صديقى الجميل ! انى ارغب ان اكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » ٠ فهـو بمثابة قولها : « خدنى فى احضـانك لانشل محفظتك » ٠ طريقة غريبة فى الغـرام ، ولكنهـا على الاقـل تـدل على صراحـة نساء العصر الذهبى عنـدكم ٠ نساؤنـا اليوم يفعلن هـذا ولكن بالحداقة ٠ وفى

المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٣١ ق٠م٠ بين رجل اسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك ٠ وما سأحصل عليه الاطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقدورى ان اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من ابنائى ٠ أو الى اى شخص فى الدنيا ٠ ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك اينما اردت » ٠ (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبيك او ربما فى المعمورة اثناء الصيف) ، واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا اما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افظع من التشريد) ؛ ويقول أبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ٠٠٠ انى موافق على ذلك » ٠

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد ٠ والعقد معقول لانه يعطى كل شىء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعيه » الوحيدة ، وكل من سيأتى بعدها يدخل فى باب « المحظيات » وهى انجح طريقة للحد

من تعـدد الزوجات ولمنـع تفتيت املاك الاسرة ، وهـــذا مـا جعل الطلاق نـادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط وكان للمراة حق طلب الطلاق تماما مثـل الرجل حتى جـــاء اليونـان بافكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على الرجل ايام البطالسة . . أمـا تعـدد الزوجات فلم يكـن معروفا الا فى الطبقات الموسرة . وكان ابناء الشعب يكتفـون بزوجـه واحـدة ، غالبا لضيق ذات اليـد . وقـد اكتشفت المراة المصرية الحـديثة هـذا السر ، وهـذا هو السبب فى أنهـا تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا يطيـر من عش الزوجية . ومع ذلك لم يفكر أحـد منكم أن هذا يؤثـر فى اقتصادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القـديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معـا فى فكرته عن المراة وفى معاملته لهـا . اما اللامعقول فـلم يظهر عنـدكم الا فى الالف سنة التى حكمها الترك والمماليك ، خذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق.م) وهو يحض ابنـه على الزواج ويسلمه مفتاح الســعادة الزوجيـــة .

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بهـا وأملا بطنها واكس ظهرها » .

« واعـلم أن الدهون العطرة عـلاج لاعضائها .

« أسعـد قلبها مادامت حيـة .

« لانهـا حقـل طيب لاولادها ٠٠٠

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ٠٠٠

اما وصايا الحكماء فى احترام المراة كأم فنجـدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام امـه للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضـيف :

« ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقـف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جـاءت بهمـا من البيت » ٠

والاغلب ان الخبز والبيرة عنـا للمعلم لا التلميذ ٠ على كل حـال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتمنى لـو كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص ٠ فاذا كانت ام تاتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هـذا اجـدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، الا توافقوننى على ان هـذا كان عصرا ذهبيـا للنساء والمعلمين ؟

الماركسية الممسخة : كيف تقـول انـه كان عصرا ذهبيا للنساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الامـاء ٠

شمبوليون : وامتلاك العبيد ايضا ٠ امتـلاك البشر للبشر مسالة اخـرى ٠ والحقيقة أن الحـالة تحسنت بعـد سنة ٢٠٠٠ ق٠م٠ تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية فى مصر القديمة ٠ فقبل هـذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود ٠ فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ ق٠م٠ وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » واذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود ٠ ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية ٠ ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيمفيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة ٠ وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة أمام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان ، وبديهى انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور اسرة ، وبالتالى لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب ٠ وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له اسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر ٠ وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى ٠

أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ٢٠٠٠ ق٠م٠ فاذا كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا اقل من أن يصيبوها فى السماء ٠ طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ،ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمراة المصريه طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المراة تتصرف فى املاكها بالضبط كما يتصرف الرجل ٠ عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيهـا سيدة اسمها نبس ـ سمحت بأطيانها لأبنائها وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة مساوية للرجل تماما • كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعـدام لاى طـرف من الاطراف : الـزوج او الزوجـة أو العشيق أو العشيقة • عقوبة قاسية طبعا ، ولكنهـا تقوم على المساواة على الاقـل ، وفى هـذا بعض العزاء للجنس اللطيف ويبـدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيـانه الزوجية نظرتنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حـكيم الدولة الحديثـة ، يقول آنى عن الزنـا : « ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعـدام عندما يرتكبه الانسان ثـم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسـان يسـهل عليه بعـد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب أى ذنب » وانى الحكيم فى مكان آخـر من البردية ، يحـذر الرجـل من شباك المراة المحرومة : « ان المرأة البعيـدة عن زوجها تقول لك كل يـوم : انى جميلة ! عندمـا لا يكون لديها شـهود (يعنى عنـدما تنفرد بـك تبـدى محاسنهـا وتغمـز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ••• ما اشـدها خطيئـة تستحق المـوت اذا استمع اليها الانسان • » وآنى فى الحالين يخاطب الـذكور لا الانـاث ، فكان سقوط الرجل مـع امراة متزوجـة كانت عقوبته اعـدام الرجل • وآنى فى الحقيقـة يخاطب العزاب ، لان برديته موجهـة الى شاب اعزب يحضه

فيهـا على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجيـــة ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنـا مع محصنة هى الاعـدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابـد انهم كانوا يعلقونه من اذنيه وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على ان الزوجـــة الزانية تفقـد حقها فى مؤخر الصـداق حين تطـلق ، وهـذا يـدل على ان توقيع عقوبة الاعـدام كان لا يمارس الا بشروط معينـة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط اخرى .

وكان الاعـدام المفضل عنـد المصريين القـدماء هـو بالالقـاء الى التماسيح وليس بالقـاء الطوب ، وأذا اردتـم احيـاء هـذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعـدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقـاء الزنـاة للاسود فى السيرك القومى الـذى تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعـل فى النهش والتمزيق فاحكموا عـلى الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم أو فى كافتيريا سميراميس أو فى قهـوة ريش بين الادبـاء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجـة محققة : لن يميز احـد لحمه من عظمـه .

انـا شخصيا لا احب التماسيح ، وافضل بكثير العقوبة البابلية فى اعـدام الزناة ، فهى طريقة رومانتيكية جـدا ، وياحبـذا لو اخـذ بهـا المشرع الحديث لانهـا ستجعـل موضوع الخيانة الزوجية الموضوع المفضل عنـد الفنانـين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التى تكتب حول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحـــو ٢٠٠٠ ق٠م) ، فى حـالة التلبس ، التلبس فقـط ، كانت العقوبة هى الاعـدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معـا مقيدين فى دجلـــــة أو الفرات ، ليعبرا النهر ٠ فاذا نجوا كان معنى هـــذا ان الالـه حكم بالبراءة ٠ واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون ٠ ولـم تكن هنـاك الا ثغرات قليلة فى هـذا القانون ! مثلا الابرياء الـذين لا يجيدون السباحة ٠ وهـــو لم يحسب أيضـا حساب نجـاة المراة مثلا وغرق الرجل او العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هـو أدائه الغريق بالزنـا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفى هـــذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهـة ، ويعود كل الى المـــدينة ليبحث عن خيـانة زوجيـة جـديدة ٠ فلا شـك ان هـــذه كانت تسلية يومية جميله ، وهى أرقى بكثير من مبـاريات كرة القـدم ، وهى لعبـة جاءكم بهـا الاستعمار البريطانى ، على الاقـل هـــذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابـل القديمة كان ينبغى على كل دون جـوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتـا من الموت ، ان يكونـا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة ٠ ابو هيف مثلا وحنفى محمـــود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا مابـدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا السنتهم للقـــــاضى

وللعسس . فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين . المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم فى سباحة المسافات .

المهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو « نهرينا » كما كانوا يسمونها . ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية . وحيث يرى الدم يطير الخيال .

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام . ومن هذا ترون ان مصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة . غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية . فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها . واعتقد انها تمارس ايضا فى مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما اراد ان يخون زوجته غمرها

بالهـدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح وكلما زادت الهـدايا بعـد الزواج كان ذلك علامة سيئة • على كل حـال هـذا هـو المقابل العصرى للتعويض البابلى • أمـا فى مصر القديمة فالـذى كان يأخـذ التعويض هو التمساح •• لا الزوجـة •

وحتى فى بابل كانت المراة شريكة للزوج لا أمة لـه • وقـد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة ان قوانينـه فيهـا ٦٤ مـادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مـادة ، أى ربـع قوانين الـدولة • طبعـا الـدولة ايامهـا لم تكن معقـدة كما هى اليوم ••• على كل حـال حمورابى اعتبر اساس الاسرة هـو « الزواج الاول » ، اى ان كل مـا بعـده فشوش • طبعا التسرى كان جائزاً ، ولكن الزوج كان من حقـه ان «يتزوج» شرعـا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حـالة واحـدة فقط ، وهى عقم الزوجـة ، وحتى فى هـذه الحالة اشترط حمورابى ان تغسلالزوجـة الثانية قـدمى الزوجـة الاولى رمزا لانهـا زوجـة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحـد الا بموافقة المحكمة •

أمـا الطلاق لسـوء السلوك فكان ممكنـا للزوج والزوجة على قـدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لـم يكـن هنـاك التزامات مالية ، أمـا اذا أرادت الزوجـة ان تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقـدم المهر ، وان يسمح لهـا بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال · قوانين عصرية اخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه · فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين · على كل حال هذا عندنا افضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا ما تكون مسرحيات رديئة · ثم اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا ··· واكثر من هذا فهى تضيع الحقوق ·

والحقيقة انه لم يستوقفنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته وأولاده لمدة اقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين · هذا كان حقا قمة العصر الذهبى · ولكن للاسف بعد ألف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت أخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر · ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لامكنني ان اقترض على مدام شمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل ان تدركني الوفاة ٠

والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا أصدقائي الاعزاء ، استودعكم الله لا عود الى قبرى واكفاني الذهبية واستأنف احلامي الذهبية عن بلادكم الذهبية التي قضيت كل عمرى ابحث فى احوالها الذعبية وتاريخها الذهبى وافك فى نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعا ، بل قولوا الى اللقاء ٠

وهكذا تركنا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعة بنظرة ساهمة ثم نهض وانصرف ، وقد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » ٠٠ فعرفنا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة ٠

× المحاورة السادسة ×

أفروديت الذهبيـــة

قال صانع الاقنعة لحاجبالجلسة ، وكان يـدلله باسم الشمعدان المنطفىء لكثرة مـا احرق من شموع فى حياته :

ـ انظر يا شمعدان من ذا الـذى يطرق الباب ٠

قال الشمعدان المنطفىء فى ادب جم :

ـ انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : سله لمـاذا جـاء ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يقول انـه سمع اسمه يتردد كثيرا فى الجلسة المـاضية فحسب انكم بحاجة اليـه ٠

صانع الاقنعة : ولكننـا لم نـدعه ٠٠ اطلب منـه ان ينصرف ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يصر على الدخول يا سيدى ، ويقول اننـا شتمناه ومن حقـه ان يـدافع عن نفسه . ثـم انـه يقول انـه لم يحاضر ابـدا فى العـلم منـذ أن مات فى

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ،٠فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانـــه كأى استاذ جامعى عنـــده شهوة الكلام وانتم حرمتموه منها ٠ وهو قـــد تخلى ٠ن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه فى الطريق الينا ٠

صانع الاقنعة : انـــا لا ارى خطرا من دعـــوة الخبـــراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع اكبر حجة فى العـــالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟

اصـــوات : لا مانع ٠ لا مانع ٠

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف ٠٠٠ مـــــع السلامة يا مسيو شمبوليون ٠ سلم على بونابرت ٠

روستوفتسيف : فى خـــــــدمتكم ٠ اى شئ عن مصر القـــديمة ٠ بابل ، أشور ٠ اليونان ٠الرومان ٠

صانع الاقنعة : لا ٠ مصر القديمة فرغنا منهـــا ٠ تكلم عن اليونـــان والرومـــان ٠

روستوفتسيف : سيداتى ، سادتى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : قبل ان يبـــدأ الخواجة عنـــدى نقطة نظـــام ٠

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

على الزيبق الجوكى : منـــذ ان نشرت محاضر جلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما اسمى عندكم هـــو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك ٠

وهــذا يسبب لى مضايقات شـديدة فى كل مكان • انــا اطلب نشر تصحيح فى الاهرام • أو تغيير هـذا القناع الردىء الـذى صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاقنعة : ما قولك يا معـلم يا عاشر •

المعلم العاشر : النـاس على حق فى هـذا الالتبـاس لان صـفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها فى زميله ، ولكن هذا لمجـرد أنه اكثر منه جلبة لا لانه اكثـر فهلوية • هـو مثلا يستطيع تنظير اى رغبـة أو مصلحة أو سـياسة أو موقف أو عمل أو فشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحـل الاشتراكى وبقوانين الجـدلية المجيدة الملتحمة مع الواقـع الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطـار من الوعى التاريخى الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكيـة العربية المجيدة •

على الزيبق الجوكى : انـا احتج • هـذه لغـة ابن سير كوف لا لغتى •

المعلم العاشر : لا • انت مخطىء • لغـة ابن سيركوف هـى : الاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخـل الـذات والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديـق الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى • هـل تريد المزيـد ؟

صانع الاقنعة : كفى • ولـماذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانــه الوحيــد بين كتاب مصر الــذى يعرف جوادا أصيلا اذا راى جوادا أصيلا ثم يحـاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليــه ، وهو الوحيد الــذى درب نفسه بنفسه على لعبــة السرك التى يركب فيها الجوكى على اربعة جياد فى وقت واحـد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعه ٠ وهو يفعل مثل هـذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضـا ، فيفكر لحظـة فى أن يطرحه أرضا ويعضه ويرفسه ، ولكنــه لا يلبث ان يغمره السرور لهـذه اللعبـة اللطيفـــة فيحمله مبتهجـا ويلعقه ٠ لهـذا سميته بالجوكى ٠ امـــا الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون ٠

صانع الاقنعة : ولمــاذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هـو زعيم جماعـــــة الشطار الظرفاء فى تاريخ الادب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى اقصى حـد ٠ وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مازق ، انـا شخصـــــيا استلطفه ٠ ولو كنت جوادا لاعطيته ظهرى ليعتليه ٠ لكنـــه للاسف لا يرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلـــــك بعنـادى الشديد ويقول : يـا عبيط انت تتصـــور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن ٠ كل شىء عنـدك يسير بالتصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شىء يسير بالنقائض والاضداد والمراحل الجدلية ٠ فاذا افترضنا ان الحياة سباق ٠ والحياة

سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحيـــاة ان تكون جوادا كريما • فاذا لم تستطع ان تكون جوادا نكن جوكيـا على اقـل تقدير • والمهم فى الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع بـه المرحلة • والتفاعل سهل • اســـهل مـا يكون • اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقة ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة • المهـم أن يجرى بك ولو مرحلة واحـدة • فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانهـا تقربك من الهـدف • امـــا انت فلن تـدخل سباقا ابـدا لانك تصر على البرسيم ، والبرســـيم يجعل اذنيك طويلتين ، ولطول اذنيك لا يرى الناس انـــك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقـد ان كثرة اكل البرسيم قـد احـدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشىء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار • جـرب السكر بـدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائمـــا اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت اخيب جوكى فى الوجود برغم كل مـا تعطيه من السكر لكل الجياد • امـا حكـــاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء • واحـدة منهما تكفى • اذا كان قنـاعى لا يعجبه فاصنع لـه قنـاعا •

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت فى المهاترات • نحن جئنـا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكـــاية الاقنعة وتكلموا فيما يفيد •

روستوفتسيف : هل ابـدأ يـا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابـدأ • ولكن اياك ان تحـــرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هـو : كيف كانت المراة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل انت خائف من شيء ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تـزال على قيـد الحياة • ستنقطع عن زيـارة قبرى اذا تكلمت بصراحـة •

صانع الاقنعة : هـذا سبب ادعى للصراحة ، لانهـا لـو كانت معك لجعلت حياتك ••• اقصد موتك • جحيما •

روستوفتسيف : هـذا كان عصر طين وقطران وليس عصرا ذهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تمامـا المسيو صباخ • تصوروا ان اكثر ملوك اليونان العظماء كانوا بقرون • الملك منيلاوس مثـلا استضـاف الامير الجميـل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانة • لكن هنـاك شيئا يحيرنا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حـرب طروادة المهـولة لمدة عشر سنين ليثأروا لشرف منيـلاوس ويمـوت كل هؤلاء الابطـال ، ثم يعـود منيلاوس بهيـلانة ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معهـا فى تبات ونبات وكأن شيئا لم يحـدث • طبعـا هى بكت لـه وقالت : لا تؤاخذنى انهـا الربة افروديت ضحكت على أو على الاصـح ـ بلغتهم ـ رمت على شباكا من حـديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين أيبك •• والملك تسيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغيرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى •• الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

أبو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغايه الفرنسيين • أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكـريا وهـم لهـذا أرقى شعوب الغـرب بسبب تحالفهم مع الاتراك ٠

ابو الفتوح الصباح : بالضبط ٠ كل الفساد جاءنا من أوروبا ٠ بتحرير المراة ٠

روستوفتسيف : المسيو أبو الفتوخ الصباخ يقول أن كل الفساد جاءكم من أوروبا ٠ انـا لا اعرف شـيئا عن اوروبا بعـد سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية ٠ ولكن المشـكلة التى يبحثهـا علماء اوروبا الآن هى : هل انطونيوس هـو الـذى اغوى كليوبـاترا أو كليوباترا هى التى اغوت انطونيوس

ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات ٠

روستوفتسيف : لا يا مسـيو صـباخ ٠٠٠ كليوباترا عنـدكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصريه ، هى وعائلتهـا اليس عندكم مثل يقـول : من عاشر القوم اربعين يـوم ؟ البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم ٠٠٠ مثـلا بطليموس الثانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق٠م) اراد ان يثبت لكم انـه مثل الفراعنة تماما فتزوج اختـه ارسينوى ٠٠٠ حتى كليوبترا تزوجت عن اخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين ٠٠٠ عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة . تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، امـا عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسنين ٠٠٠يـوم الحكومة بسنة لـكن سنة الشعب بيوم ٠٠٠ انـا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الـذاكرة ٠٠٠ كاهن انوبيس مثـلا يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبـة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزبس وسيزوستريس وأمازيس ، وماعليه الا ان يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل ان الشقة المجاورة لـه تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس ··· والمسيو أبو الفتوخ الصباخ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب ··· ويتوهم انه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين ·

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجريجية؟

روستوفتسيف : اقصد ان تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان ··· اليونان اهتموا بشيء واحد وهو تحرير الرجل ··· أما المرأة اليونانية ، من المملكة الى بائعة الجندوفلى فى ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ ما يكون ··· تصوروا مثلا ان سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى الى حجرتك واشتغلى بأعمالك : اشتغلى بالنول والمغزل ، وأمرى وصيفاتك ان يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأنى انا قبل الجميع : فالامر أمرى فى هذه الدار » ··· هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق·م · (« الاوديسا » ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ··· وبدلا عن أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل - والخـون

والمغزل ايام زمان كانا كشغل البرودرى والاوبيسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ٠٠٠ اظن ان هـواية نسائكم المفضلة هى المشكحة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعـد المغرب ٠٠ على العموم كان مكان المراة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لهـا أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ٠٠٠ أمـا الشبان والبنات فكانوا لا يـرى بعضهم البعض الآخـر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسـط جماعات وليس على انفراد ٠٠٠ وفى شعر ثيوقريط (ايديل ٢) وصـف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيـد ارتميس ٠٠٠ وفى أوربيديس أن عـدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينـا كن لا يجترئن ، عى فتح ابواب بيوتهن وقـد كان حـدثا رواه المشرع ان نساء اثينـا اجترأن عى فتح أبوأبهن بعـد هزيمة خيرونا وعـودة الجيش المسحوق لبسألن عن الـزوج والاب وآلشقيق ٠ هل مـات أو عـاد سالمـا ، وقـد استهجن فوكورجوس هـذه الفعلة الشنيعة لانـه « ظن انهـا لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ٠٠٠ والمبـدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المراة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسال : ام من هـذه ؟ لا زوجة من هـذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من اهل بيتهـا يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ٠٠٠

طبعـا جاريتها هـذه كانت اس البلاء لان الادب اليـونانى القـديم يصور الجارية دائما على انهـا الرسول بين العشيق والعشيقة ··· نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ··· وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق·م · قانون ينص على ان المـراة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها ان تأخـذ معها ما لا يتجاوز ثلاث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن أوبول واحـد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسـا ونصف البنس اى اقـل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقـــوة الشرائيه للحقيقة) ··· كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لهـا ان تخرج ليـلا الا فى عربة يضيئها مصباح ··· وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بهـا الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا أراد قومنذان بوليس الآداب عندكم ان يأخـذ بمبـدأ الوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقـراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليـلا فى شارع الهرم أو فى طريق العادى ·· كل هذا يـدل على وجود ازمـة ثقـة شديدة بين رجـال اليونـان القديمة ونسائها ··· وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معنـاها ثلاثه غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفســتان والشـال أوالمـلاءة اللف ، وهـذا التفسير الاخير هـو الارجح لان تحـديد المـاكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريـــالا يتضمن ان نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

فى شنط اليد أو فى غير شنط اليد ، والا فالتشريع يكون عبثا لان الفلوس يمكن ان تشترى تموين شهر أو سنة ٠٠٠ ويبدو ان الفكرة العامة كانت ارغام النساء تحت وطأة الجوع أن يعدن للنوم فى بيوتهن بدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة ٠

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : ايها الرجعيون ! اهتفوا معى : تحيا ذكرى صولون !

اغا طبوزادة والخشداش ايواظ : تحيا ذكرى صولون !

مجاهد بن الشماخ (فى امتعاض) : ما هذه السذاجة ؟ هذه مؤامرة صليبية ٠٠٠ تذكروا الروم ! تذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون ٠ قولوا معى : فليسقط صولون وأهل صولون ٠

صانع الاقنعة : النظام ٠٠٠ النظام ٠

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هل اخطأت ؟ أنا أرد على سؤالكم : هل كانت المرأة اليونانية متحررة أم لا ٠

صانع الاقنعة : مجاهد بن الشماخ غاضب لانك صورت المرأة اليونانية فى صورة جميله : خاضعة تماما لسلطان الرجل ٠

روستوفتسيف : نعم ٠٠٠ هى كانت كذلك وكانت النساء تاكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال فى الحفلات والمآدب ٠٠٠ اعتقد ان هذا التقليد لا يزال موجودا بينكم فى الريف المصرى ٠٠٠ وقد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهـر امـه ويقول لها اف كما كان تليماك ينهـر بنيلوب ٠٠٠ ومع ذلك اذا اردتـم ان اقـلب لكـم الحقائق ، فهـذا سهل ٠٠٠ نحن العلماء الخواجات مدربـون على ذلك ٠٠٠ مثلا عندما تكون هنـاك أزمة سياسية بيننا وبين المصريين نصـدر « ابحاثا » علمية نثبت فيهـا ان اصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر ٠٠٠ واذا اختلفنا مع العراق اثبتنـا انـه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنـا مع كل العرب نقلنـا اصل الحضارة الى الصين او الهنـد بحسب الحالة ٠

صانع الاقنعـة : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ نحن نريـد ان نستنير ٠ استمر يـا خواجه ٠

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المـراة فى اليـونان القديمة يثبت وجهـة نظركم ٠٠ يثبت ان المرأة الاوروبية منـذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل بالعصـا ٠٠٠ مثلا أوريبيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصح الرجال العقلاء ان يمنعوا نسـاءهم عن استقبال النسـاء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور »٠٠ ومن كوميديـا أرسطـوفانيس « أعيـاد ثيسمافـوريا » (البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يسـجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس » ، أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملكبترباس محـكم من الخارج ، ولا يكتفون بهـذا بـل يضعون كلب حراسة مولوسى على عتبـة الدار ٠٠٠ لـاذا كانوا لا ياتمنون نساءهم ؟ لانهن

كن نساء ملعبات ··· ناقصات عقل ودين ··· بالضبط كما تقولون أنتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقالهن أو تحديد اقامتهن ··· ومنذ ٨٠٠ ق·م · كان الشاعر هسيود يقول لليونان فى « الاعمال والايام » (البيت ٤٧٠) أن باندورا ، وهى حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد فى البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكى يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ٣١٩ و ٧٠١ وما يليه) ··· حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية أثينا فى القرن الخامس ق·م · كان يقول : « خير النساء اقلهن ذكرا بالخير والشر فى محضر الرجال » ··· ورد هذا القول المأثور فى ثيوسيديد ٤٥/٢ ··· وفى « الثسمافوريا » لارسطوفانيس أيضا (البيت ٧٩٧) ان واجب النساء المتزوجات هو ان يتوارين د.. ـ البيت حتى لا يراهن المارة ـ الشارع من النوافذ ··· ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ··· وقد حل أجدادكم فى العصر التركى المملوكى هذه المشكلة باختراع (المشربية) فاذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا فى امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون أن يرى ·· طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والكردنه على النساء ··· فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق·م انه فى اقليم ليديا ، حيث أقسام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣)

٠٠ ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم فى المرأة العصرية ، ولكن المرأة العصرية اكثر دردحة من جدتها الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من السفلقة فنا جميلا ٠٠٠ فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة او ابتسامة او على اكثر تقدير مجرد قبله يستكردن الرجل فى شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما فى فستان أو ساعة حريمى وهن فى الطريق الى السينما ٠٠٠ كذلك كانت فساتين نساء اسبرطة مشقوقة فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان ٠

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية أو « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر أخجل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر ابى نواس ٠٠٠ فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن اطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانه » ٠٠٠ وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ٠٠٠ وفى هوميروس نجد أن امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى ٠٠٠ اما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان ان مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب

ذريـة شرعية » كمـا فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (« ستروماته » ٢/٤٢١) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكورجوس ونومـا » ٤) وزينوفون (« المذكـرات » ٢/٢/٣) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ٠٠٠ وفى كتاب ارسطو عن « الدولة » (٢/٨/١٢٦٠) ان هومبروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس . وكانت غالبا من الماشية ٠٠٠ ولكننا نعلم ايضـا من هوميروس فى « الاوديسا » (١/٢٧٧ و ٢/١٩٦) وفى « الاليـاذة » (٦/٣٩٥ و ٩/١٤٤ وغير ذلك) أن الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ونعـلم من « الاوديسا » ٢/١٣٢ انه فى حـالة الانفصال يسترد أبو المرأة الدوطـة ، ومن « الاوديسـا » ٤/٥٩٥ أن المرأة تفقد حقهـا فى الدوطـة فى حالة الخيـانة الزوجية ٠٠

صانع الاقنعة : ولمـاذا كل هـذه الارقام ؟ تكلم كمـا يتكلم النـاس .

روستوفتسيف : مستحيل ٠٠٠ هكذا نتكلـم فى محاضراتنا ٠٠٠ والاستاذ الـذى لا يذكر مراجعه يفصـل فورا منعـا للتلفيق ، والا جلس اى استاذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملهـا على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هـذه كانت الركن الوحيـد للزوجية فى اليونان القـديمة .

وافلاطون هو الوحيد الذى ادخل عليها بعض التحسينات فى « القوانين » (٧٢١/٤ و ٧٧٤/٦) حيث قال ان الزواج هو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذرية تعبد الالهة وتخدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المدنية ٠ وفى بلوتارك (« ليكورجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانوا يفقدون بعض حقوقهم المدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون فيها من انفسهم ٠٠٠ يعنى كل واحد فيهم يترنم بقوله مثلا : انا حمار كبير ٠٠٠ وهو اسلوب فى النقد الذاتى اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهد ستالين ومن أسلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المذنب أو المذنبة وهو يرتعش وسط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنا قضيت الليلة الماضية فى بيت مسز فلان ، او أنا سرقت دجاجتين واوزة من حقل جارى فلان ، فليسامحنى الله ٠٠٠ ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحد فقد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابدان فى سبيل الحرب والرياضة لدرجة ان بلوتارك روى ان الزوج الاسبرطى كان من المألوف ان يعير زوجته مؤقتا لرجل آخر اقوى منه واصح بدنا لينجب له اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهدف تحسين النسل ٠٠ وقد احيا الالمان هذه العادة الاسبرطية الغريبة أيام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

الهتلريات ان يقدموا للرايخ الثالث نماذج معتمدة من الجنس الآرى ٠ قامة فارعة مثل قامة جويبلز وقوام ممشوق مثل قوام جورنج وشعر اصفر بلوند مثل شعر هتلر ٠٠ وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانت تصنع الاباجورات من جلد الاسرى ٠

صانع الاقنعة: دعنا من موضوع النسل ٠٠٠ هـذه مشكلة اخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد النسل ٠٠٠ تكلم عن المراة فقط ٠

روستوفتسيف : انا فرغت تقريبا ٠٠٠ لم يبق الا ان اقول انه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة كثيرا ما اختلطت بوظيفة اخرى سيئة السمعة ٠٠٠ ولم نسمع احتجاجا على هذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٧٧١/٦) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجو الزوجان من الخداع ٠٠٠ من هذا ترون أن الزوجة فى اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع ان تكون الخيانة الزوجية موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حياة اليونان ٠٠ ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى او « الهتيرات » اللواتى مجدهن ادب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور وبقى لنا من أسمائهن اكثر مما بقى من اسماء الزوجات ٠٠٠ وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق٠م ٠ فاشتهرت منهن فرينا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس

فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لاييس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور · وكان لاكثر كبار رجال الدولة غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليا عشيقة ملك الفرس أثناء الحروب الفارسية ، وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية اثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائده بطليموس الذى تزوجها واجلسها معه على عرش مصر واسس بها أسرة البطالسة ، وكانت لهـا صديقة غانيه اسمها لاميا حكمت اثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس واقام لها الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا · والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نساء عموميات لهن تسعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين) ، أما اللوكس نكن يصلن الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين · وكان جزء لا بأس به من ايرادات الدولة يحصل بهذه الطريقة الغريبة · ولكى ثبت تاريخيا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطاع العام · المهم ان البنات الهتيرات ظهرت بينهن طبقة ذكية مثقفة نحو ٣٠٠ ق·م · أيام الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن فى فصول لدراسة الفلسفة ويتجادلن فى الماهية والمقولات والمفهوم والماصدق والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركت

رسـالة لا بأس بهـا فى الفلسـفة . نـوع من الجيشـا اليونانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحـد . أمـا الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليـه مدام دى ريكامييه ومدام دى مانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور ايـام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية . أمـا البروليتاريات السناكيح منهن فكان اقصى منى الواحـدة ان تصبح محظية لرجل واحـد وتترقى الى رتبه « بالاكا » أى « محظية » بـدلا من كونها مرفقـا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضـة ، وكان الرجل يستطيع ان يبيع محظيته فى اى وقت يشاء . نـوع من الرقيق الابيض . هـذه كانت احلام الحرية بالنسـبة لطبقة الهتيرا الغلبانة : اقصى منى الواحـدة ان تصبح أمـة أو جارية ! لقـد كان عصرا ذهبيا حقـا ، ولكن للرجـال فقـط .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه . انظروا اليـه ... انظروا اليهم . ابو الفتوح الصـباح ومجـاهد بن الشماخ وابو سنة دهب لولى وعز الدين أيدمز المحيوى . انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ .

مجاهد بن الشماخ : لا تصدق كلمة واحـدة مما يقول . هـذه دعاية مبشرين .

ابو سنة دهب لولى : هـذا فوق طاقة البشر . لـم اعـد احتمل ... انا اطـالب بتدريس اليونانيات فى كل كليات الجامعة .

صانع الاقنعة : ممنـوع التلمظ .

الماركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هـذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانيه . ولماذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب الافلاطونى . انـا لما كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شـيش البلكونة وضبطنى أبى اسوى له شعرى فى الشباك لارد تحيته فضربنى علقـة سخنة ، وسمعت اخى الكبير يدافـع عنى ويقول لابى انـه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى . ولما عرفت ان افلاطون يونانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت املى يـا شيخ .

روستوفتسيف : لا تعولى على حكاية الحب الافلاطونى هـذه يا سيدتى ، لانـه خاص بالرجال فقط . أصل الحكاية ان افلاطون كتب كتـابا اسمه « النـدوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صـفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر أجاثون ، وهـو شاعر سيىء السمعة جـدا فى الكـلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون انـه يجب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانسـجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتـذل القائم على ارضـاء الجسد . وعنـده ان الحب المقـدس لا يمكن ان يقـوم الا بين الرجل والرجل . امـا الحب بين الرجـل والمراة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، اى ربة الحب المهيمنة على كل النـاس . وامـا افروديت اورانيا ، أو ربـة الحـب

السماوية فلا شأن لها بالحب الذى يقوم بين الرجل والمراة · فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيا « السماويون » اى أصحاب الحب السماوى أو العشق الالهى · ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هذا أورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا استطيع ان اتفوه بها · وقد كانت الاورانية عند اليونان شائعة كالاكل والشرب ، والغريب انها كانت عندهم لا تتعارض مع البطولة · ففى « الياذة » هوميروس نجد الاورانية بين البطل اخيل والبطل باتروكل وبين البطل باتروكل والبطل بلاتون · وفى ارسطوفانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقدر الناس على الاشتغال بالسياسة · والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمها بين الاحرار والعبيد وليؤكد هذا المعنى حرم تداول الاموال فى كل علاقة أورانية ، والفكرة العامة عند اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امارة الارستقراطية أو الدم الدورى الازرق ، والدوريون هم سكان بلاد الاغريق قبل نزول اليونان بها · اما الحب المألوف فهو للدهماء وفى مجلس العموم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يدل على عصريتها المتناهية ·ولكن هذا كله لم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النساء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس فى حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من ان يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسيس اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وابولو بلفدير اكثر مما مجد جمال المرأة بتماثيل افروديت أو ديميتر . انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطأ شائع . حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المرأة . والفرق بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما العرب نددوا بالنواسية .

وهنا شهق ابو سنة دهب لولى شهقة عظيمة واخذ يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر . هذا لا يطاق » . فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة . اما صانع الاقنعة فأخذ يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض . هذا ما جرته علينا الرجعية وترهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمرأة الذهبية . ان نستمع الى كل هذا الكلام الفارغ . بلا حياء . بلا حياء . وباسم العلم . ثم التفت الى الخواجة روستوفتسيف وقال :

ـ انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة المرأة فى روما القديمة .

فاجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

ـ لا تكن عجولا . كل شيء مرهون بأوانه . موعدنا فى الجلسة القادمة .

× **المحاورة السابعة** ×

ختامها مسك

قال **صانع الاقنعة** : يا اخوانى · جاءتنى عريضة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هذا المؤتمر ، يسمون انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف » · التابعة « للوكالة المركزية لحماية الملايين من اخطار لنين وستالين وكل بلشفى لعين » · وفى هذه العريضة أن الخواجة روستوفتسيف دسيسة شيوعيه على عقائدنا السنية · وانا استنكر هذه الاتهامات الجزافية · ولكنى برغم هذا ، منعا للشغب ، شحنت هذا الخواجة فى صندوق الى الجبانة التى جاء منها فى مكان ما بأمريكا الشمالية قبل ان يقدم تقريره عن حالة النساء فى روما القديمة · وبناء عليه فعليكم الآن ان تدعوا احد رجلين : اما جيبون الانجليزى واما مومسون الالمانى ليصف لنا حالة المرأة فى روما الذهبية وما تيسر من العصور الوسطى ·

مجاهد بن الشماخ : لم نسمع بهذا ولا ذاك · لماذا لا ندعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى او ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : هؤلاء سندعوهم فى مناسبات أخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية • أنا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم أنه مات منذ مائتى سنة لان جيبون فى الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء • هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد على أحد حماس • فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد أن قال صانع الاقنعة : « أدخل يا جيبون » •

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعه : من اجل هذا دعوناك • وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك •واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حساب الخواجة طرايان ووزارة الثقافة •

جيبون : اولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم •

صانع الاقنعه : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : اولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » • ثانيا الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب • وكانوا يعيشون فى جزء من الجوع الجنسى ويسوون بين

الرجال والنساء فى الفوضى الجنسية • كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد • ومن أيام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شىء شبيه بفردوس القطط والكلاب • ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة • وكانت اقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من ابيها • ولكن كان فى امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة أبيها اذا استطاع ابقاءها فى بيته سنه كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلنى فأنا لا اعرف • ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لا عمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة • مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل • والاغلب أن الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز• فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة او الاستثمار · نحن فى انجلترا نحب ان نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على اولادهم · تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » او « الممتلكات » او شىء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة · ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء · على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل اولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب · وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، أى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء ·

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ - ٤٤٩ ق·م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفه فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافىء ، أى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب · وكان من اشد الناس ضراوة ى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة ·

وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهز عليهـا فى الفورم ، وهـو سوق رومـا • وادى هذا الى قيام فتنـة فى الجيش فتراجع الاشراف والغـوا القانون واجازوا الزواج المختلط •

وبتقـدم المدنية الرومانية فقـدت المـرأة قيمتها كعاملة أو دابـة من دواب الحمل فى الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى اصبحت عبئا على زوجهـا • وبهذا تغيرت عـادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجـة هى التى تدفع المهـر الـزوج وتشارك فى الانفاق على البيت • وهـذا اعطى الاب الحـق فى ان يحتفظ بسلطته على بنته بعـد الزواج ، كمـا ان استقلال المـرأة الاقتصادى دعم مركزها ووسع حرياتها الى درجـه غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل فى الحياة الزوجية • وعلى كل حـال فان الزوج الرومانى لـم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بـل كان رجـلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعـددة منها غياب الزوج مـدة طويلة فى الحرب ، وقـد انتشر الطلاق فعـلا أثنـاء الحرب البونية الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـرد طلب الـزوج للخـدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومـان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فأصبح يكفى للطلاق مجـرد اعلان شفوى من أحـد الطرفين • وكان من الممكن ترتيـب الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفـا أن يتنـازل الزوج عن زوجته لصـديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتـو

الاصغر تنــازل عن زوجتــه النبيلــة مارســيا لصــديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا ٠ لاشــك ان الرومان كانوا يرون هــذا افضــل من ان تنجب مارسيا لهور تنسيوس اطفالا وهى لا تزال فى عصمة كاتو ٠ كــذلك أوكتافيوس قيصر الشهيــر بأوغسطوس ــ عــدو انطونيوس وكليوبترا ــ انتقلت اليــه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنـازل من زوجها كلوديوس ، وفى روما الجمهورية ــ اى قبل القياصرة ــ كان هــذا التنـازل لا يتم الا برضــا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطوريه بــدات تتســاهل فى هــذا الشرط الانسانى ، فاصبح التنـازل عن الزوجة كالتنـازل عن عقار أو موبيليا أو بهيمة ٠

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق فى قرشين هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا ٠ هــذا يكون بيعا ، والبيع ظــل فى روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المــال وهو الاب ، وانما فى اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصــفة القانونية على زنــا الزوجــة بطريقة ودية بــدلا من قتلهابحسب مــا يبيح القانون ٠ وفى العصور المتأخرة حين انتشرت الفروســية ٠ كان من قواعــدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته ٠ ولــم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن اثباتا لان لزوجته معجبين منطق غريب طبعــا ٠ فنحن اليوم لا نسمى مثل هــذا الرجل

فارسا بل نسميه باسم آخر اقل رومانتيكية · فانظروا كيف تقدمت آداب المحدثين على آداب القدماء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابدا انهم كانوا يقتتلون على النساء ، والمرآة عندهم لم تكن تدخل فى قاموس النخوة · على الفلوس · نعم · اما على النساء فلا ·

مجاهد بن الشماخ : الم نقل لكم ان هذه الشعوب الاوربية منحطة بالفطرة ؟

الفارس المفروس : على العموم من يقرأ « مجنون ليلى » لاحمد شوقى يجد ان العرب فى العصر الذهبى عرفت هذه الفروسية المهببة ، ولو فى تقاليد العذريين وبنى عامر · قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضايقه بالاسئلة الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليل ، مثل قوله :

بحقك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها ؟
وهل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الاقحوانة فى نداها ؟

لدرجة ان ورد ذات مرة أجابه معاتبا فى رفق :

الزوج لا يسأل هل قبل اهله وكم ؟
نعم لقد قبلتها من رأسها الى القدم

يعنى الزوج يعتذر للعاشق عن قيامه بواجباته الشرعية · بل ويؤكد له ان ليلى لا تزال صناغ سليمة ديوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بهــا كالوثنى بالصنم ·

صانع الاقنعــة : فلنعــد الى الرومان ·

جيبون : هــذه عــادة سيئة عنـــدكم ··· كل شىء تنسبونه الى العرب أو المصريين · حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الاخرى · العرب لــم تبتدع هـــــذه الفروسية المهببة · هــذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق أو العشيق كان يغــار من الزوج · ويقال ان الشاعر أوفيــد هــو الــذى ابتكر هــذه التقليعة فى ديوانه « الغراميات » وفى ديوانه « فن الحب » وعنــه انتشرت فى أوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعد ان امتلات أوروبا بالفرسان من قوط وفنــدال وهون وبرابـــرة نورديـــين بشعر اشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثــل الملك آرثر وفرســان المــائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد ، ممن كان يحلم بهــم هتلــر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تنتابه · وكانــت للشاعر أوفيــد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج وهو انــه لا بهجة فى الغرام اذا جــاء سهلا يسيرا ، اى ان الغرام لا يكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لا يستطيع كل انسان أن ينالها · وكلما شق الغزو زادت اللــذة عنــد سقوط القلعــة وزادت نشوة الانتصار · والمرأة التى لا حارس لهــا تشبه القلعــة المفتوحة أو قلعــة بغير فرسان · وبالطبع فى هــذه التقليعة تكون امنع قلعة هى المرأة المتزوجـــة التى يحرسها زوج غيور شــديد اليقظة مثــل الوولف الالمـــانى

أو الوولف الالزاسى ، واوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتها وانه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على أنه فراش « الخيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى • والحب عند أوفيد له استراتيجية مثل استرلتيجية الحرب •. فالمكان الملائم لحصار المراة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهى العامة • واستراتيجية بلا تكتيك لا تؤدى الى شىء : فلابد اذن من مرسال أو وسيط، وأفضل مرسال أو وسيط هو الوصيفة أو الخادمة • ثم إن الشجاعة نصف المعركة • ولكن يجب أن يفهم العاشق أن الهجوم الخاطف خطأ جسيم • فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط • المهم هو الصبر والتحلى بآداب السلوك التى يسمونها « الكورتوازى » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو او شنطة يد من وقت لآخر • اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المراة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس او بلاتين وليس مجرد معجب ولهان • طبعا ديوان « فن

الحب » عمل سكاندال فى روما القديمة ، لا لانــه كان خارجا على الاداب ولكن لانــه كان وصـــفا صادقا للمجتمع الرومانى فالناس فى العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لترى دمامتها الحقيقية • وعلى العموم فقــد نفى اوفيــد فجأة الى آخر اطــراف الامبراطورية فى تونى على البحــر الاسود ســنة ٨ ميلادية ، نفــاه الامبراطور أوغسطوس قيصر دون ابــداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت ايضـــا فى نفس السنة •

وانتم تقولون بحق ان النـــاس على دين ملوكهم • متاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران • خــذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفهــا جنوده عنــه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جــاء فى « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس فــان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقــة كومودور • وبعــــده اوكتافيوس اى أوغسطوس قيصر ، كان فظيعــا جنسيا ، وقــد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديــا التى هجرهــا ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امراة متزوجـــــة فطلقهــا من زوجها وهى حامل قبل الوضع بأيام ، ثــــــم طلقهــا بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيــا التى دخلت عليه بطفلتين من زوجهــا الاول • وحين دب الملل فى قلبــه خشيت ليفيــا ان يتخلص منهــا فكانت تأتيه بالعــــذارى الصغيرات جــدا من بنات الفقراء تماما مثـــــل صاحبكم شهريار فى « الف ليلة وليلة » وكان العــذر الرسمى الـــذى

اعلنه أطبـاء البلاط ان هـذا يجـدد الخصوبة فى الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لـم تتجـدد وانتهى امره بالتبنى ولن احـدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثـــل جوليـا وبنتها جوليا فقـد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لـدرجه ان أوغسطوس تيصر نفاهن وجردهن من الحقـــوق الملكية • ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الـذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظـائف الدولة لـذوى الذريـة الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بـلا نسل وقيـــد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعل الـدولة تتقاسم مع الزوج المخـدوع مؤخر صـداق زوجته المطلقـة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات • ولكن بعـد موت أوغسطوس قيصر لـم يلتفت أحـد الى قوانينه لان أباطرة الرومان الذين اعقبـوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطونى ، مثل الامبراطور فيتليوس الـذى قتله جنود فسبازيان لســـوء سلوكه ، والامبراطور السورى الاصل هليوجابولوس الـذى كان يظهر فى الحفلات الرسمية فى ملابس النساء ويلبس ياقة مرصـــعة بالجواهر واساور مرصعة بالـدر وقـد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خـديه بالبودرة والروج وكان يجلس فى قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقـد وزع ســـــلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احـدهم يســـــمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو فى سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان فى شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية أو الاورانية • ولكن أغرب مافى الرومان أن أباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل أو سوء السلوك وزهدوا فى النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وافظع من أباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفى مرة اعدمت رجلا لانها طمعت فى بستانه واعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفى مرة اخرى كانت تعدم أشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدأت « ترمرم » ففى مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التى خلدت اسمها فى تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة فى بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركى أو اسمها فى المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة فى روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجهاالامبراطور كلوديوس لايحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

اجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين اخيها علاقة محرمة ثم نفاها • فلما اصبحت اجربينا سيدة روما اخذت تقتل من حولها من نساء البلاط الجميلات او تنفيهن غيرة من جمالهن • ونجحت فى أن تحمل كلوديوس على ان يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها من زوج سابق ، ولما لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست له السم ، ثم حاولت ان تسيطر على ابنها نيرون كما سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون • ولكن بوبايا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه أجربينا ، وكانت بوبايا من أصل شعبى ومتزوجه من قائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صديقه أوتو بقصد ان يعيش الثلاثة فى تبات ونبات • ولكن أوتو رفض هذا التبات والنبات فأبعده نيرون من بوبايا وجعله حاكما على المنطقة التى نسميها الآن البرتغال • ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى انفه خطاما وحين أنجبت له بوبايا بنتا رقاها الى لقب « أوغسطا » أى « المعظمة » ولما ماتت أعلن أنها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا اوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ – ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التى ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى

(باشا) • وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على ارخص مستوى وعلى اغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبندر التجار ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث ان طردها فتصعلكت فى الاسكندرية ورأت اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • أما كيف اصبحت تيودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقال أنها فى سنى ضنكها رأت رؤيا أو حلما بأنها ستكون زوجة ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الاشياء ، أما انتم فى القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينيه مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كما تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستنيان بجنون • وكان يحكم بيزنطة فعليا باسم عمه ، ولما عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الذى يحرم زواج الممثلات من

الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الــدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بـذلك شريكته فى الحــكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صـدور الـدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويله ثـم يؤذن لهم فى الدخـول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠٠ تابع وعلى رأسهم وزير الداخليه (الوالى البرينورى) ووزيــر الخزانة ، أمـا جناحها الخاص فكان مليئا بالخصــيان والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها فى اقبـاء مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر ان يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت امـا من ينجو فكان يفقـد بعض اعضائه ليكون عبرة لمــن يعتبر ، وهى تقاليـد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة ألى حـدالهوس فبنت ديرا فى الضــفة الشرقية من البوسفور جمعت فيــه ٥٠٠ من بغـــايا القسطنطينية وحبستهن مـدى الحياة ، ومنهن من يئسن من الحياة فالقين انفسهن فى مياه البوسفور • وقـد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انــه استوحى كل قوانينه من زوجتــه الملهمه من السماء •

هـذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بـدأ بشراء الزوجات وانتهى بتأليه البغايا والتثليث الجنسى باســم الفروسية • أمـا اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، استاذ باكسفورد واخصائى عصور مظلمة ، يستطيع ان يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن أحزمة العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى وغيسكونتى · وربما وجدتم نوادر ذهبيه كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر ·

صانع الاقنعة : شىء مقرف · شىء مقرف · لا نريد مزيدا · انتم مقرفون يا حضرات الخبراء الاجانب ·

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء المصريين ، نحن فى اوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة · ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساويناها بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية · أما أنتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم ، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن أيضا كنا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا ان التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظر الى الوراء • وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا اسمه داروين واثبت لنا ان الانسان كان منحطا ثم ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ، وخلصنا من فكرة الخطيئة الاولى التى لازمتنا منذ ان نظم الشاعر غرجيل رؤيا العصر الذهبى قبيل عام واحد ميلادية حتى ١٨٥٩ ، عام ظهور كتاب « اصل الانواع » •

صانع الاقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير الخبراء عن المراة الذاهبية فى العصر الذهبى عند العرب وفى مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما القديمة ، لم يبق الا ان ناخذ الاصوات على هذا السؤال: هل المراة اليوم احط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو أرقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدى الرئيس • قبل ان نأخذ الاصوات بلغنى أن الدكتور خطة أرسل لسيادتكم تقريرا برايه فى هذا الموضوع • وانا اطالب بقراءته على الاعضاء•

صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكنى استبعدت هذا التقرير لان الدكتور خطة ليس اديبا ولا فنانا ، بل استاذ فى الاقتصاد •

ابن ماركوف : نريد التقرير •

على الزيبق الجوكى : يجب ان تتفاعل الفنون والآداب مع الاقتصاد •

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم هـــذا ·

صانع الاقنعة : لا بأس · لا بأس ·

ثـم أخرج صانع الاقنعة من ملف أمامه ورقة تلاها على الحاضرين ·

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادباء والفنانين :

« تحيـاتى ··· انتم رجال الادب والفن تعشـقون الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثـل حقوق الانسان وتحرير المرآة لانكم مثل قبائل الاشانتى والشولوك والدنكا لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مساوية للفعل · انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثـلا اذا أردتـم تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعـددتها اعـددت شعبا طيب الاعراق » · واذا اردتم ان تجعلوا المراة مجرد غانيـه فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينـا وعلى الغانيات جـر الذيول » · واذا اردتم اغلاق مدارس البنـات وحصر نشاط المراة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتـم مع المعرى :

علمـوهن الغـــزل والـــردن
وخـــلوا كتـــابة وقـــراءة
فصلاة الفتـــاة بالحمد والاخـــلا
ص تغنى عن يـــونس وبـــراءة

واذا اردتم تجنيـد النساء فى الخـدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم ان اليونان كانت فيهـــــا نســـاء محاربات اسمهن الامازونات • واذا اردتم ان تثبتــوا ان المراة يمكن ان تحــكم مثــل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسوت أو المــلكة اليزابيث او الامبراطورة كاترين • واذا اردتم ان تثبتوا ان المراة لا تقــل تدينـــا عن الرجــل تذكرتم رابعة العــدوية وسانت تيريزا ، وهكذا • أمـــا نحن رجال التنمية ، فنسمع كل هــذا الكـــلام ونضـــــحك من سذاجة الادباء • نحن لا نقول ان قاسم أمين حرر المــــــراة المصرية ، ولكننـــا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبهـــا من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العمالة بين النساء الىالعمالة بين الرجالمع بيـــــان بانواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رســـم بيانى بنسبة اجور النساء الىأجــور الرجال • (٣) رســـــم بيانى بنسبة توزيع المــلكية بين الرجال والنساء • (٤) رسم بيانى بنسبه التعليم بين الرجالوالنساء مع بيان نــــــوع التعليم ودرجته • واذا أردنـــا ان نعرف حــالة المراة فى عهد رمسيس الثانى أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعداد هــذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبيا أم فضيا أم نحاسيا أم حــديديا • وبعــد دراسة هــذه الجــداول نحــكم ان كانت المراة المصرية متحررة فعــلاً ام نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعــد هــذا نظرنا فى هــذه الاعتبارات المعنــــــوية التى يتحــدثون عنهـــا كاثر الثقافة أو الفلسفة الاجتماعيـــة

والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع ·

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المراة الروسية والمراة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالى اقل ذهبية من المراة الانجليزية او الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ١ : ٢ اى امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان · وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المراة الروسية هى التى ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى ، ومايكوفسكى وتوجآن بأرانوفسكى · والمراة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى · فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المراة الانجليزية على عجزها او تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون او التاكسى او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر · كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اى ١ : ٧ تقريبا · وكانت أول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المراة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنالت حق الانتخاب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ ٠ والآن ، ما هو الموقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشغل الرجال ١٥ مليونا ٠وهذا الاستقلال الاقتصادى النسبى هو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين ٠ ولكنها طبعا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امراة لسبب بسيط ، وهو ان متوسط اجر العامل فى بريطانيا ١٤ج‌ك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ ج‌ك فى الاسبوع (لا تسألونى لماذا يسمون الجنيه الاسترلينى ج‌ك وليس ج‌س) وليس معنى هذا ان المهندس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف ما تتقاضاه المهندسة أو الطبيبه أو المدرسة أو العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل ، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخل المدير العام ونقسم على ٢ ٠ وسبب انخفاض دخل النساء العاملات هو أن اكثرهن يشغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع فى المحلات التجارية والخدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحلات العامة ٠ نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمراة الامريكية ٠ ففى الولايات المتحدة نحو ٧٠ مليون وظيفة منها نحو ١٤ مليونا تشغلها النساء و ٥٦ مليونا يشغلها الرجال ، اى بنسبة ١ : ٤ ، وهو اقل من بريطانيا ومجموع أجور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال ٠ وقد حصلت المراة الامريكية على حق الانتخاب فى

١٩٢٠ ومع ذلك فالمرأة الامريكية تركب الرجل الامريكى لان نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية ٠ أو بعبارة اخرى الذكور فى امريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا ٠ وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم ان تتكلموا عن تحرير المرأة ٠ أما المرأة الفرنسيه فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المرأة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا أنها للاستهلاك الخارجى ٠ ولم يدركوا أن باريس صممت لتكون عاصمة اوربا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المرأة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره ٠ أما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى ٠ وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين ٠ ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ فلابد أن تكون نسبة أجور النساء الى أجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزرية جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم ما يقوله الميثاق

فى هـذا الموضوع ، بـدليل عجز المراة المصريه حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا · والمراة المصرية الى الآن تعتبر ان بطنهـآ هى مصدر رزقهـا الاســـاسى · فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتهـا اليومى هى تكبيل زوجهـا بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعـانة بطالة أو اعـانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق · وهـذا ما يجعل كل خططنا لتحـديد النسل هبـاء فى هبـاء ما لم تعـدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنع فصـل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التامينات الاجتماعية · ويوم ان نعترف ببطن المراة كأداة من أدوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لآ مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن المـراة فى « ميثاق العمـل الوطنى » ·

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى ·

(توقيع)

(د· عبد الحافظ خطـة)

ابن سيركوف : تحيـا الاقتصاد ولوجيا ·

ابن ماركوف : تحيـا عمالة المراة · يحيـا الاقتصـاد محرك التاريخ ·

المـاركسية المسخسخة : تسقط الاغـلال الذهبيـــة · يسقط القفص الذهبى ·

خولة المـايسطرية : لا · لا · هـذه شيوعية · انـــا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبية والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ٠

شجرة اللولى : طبعا هذه شيوعية ، ونحن اعداء الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلابد من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويدخل كما يشاء ٠ المهم ان يرى الرجل المراة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقل ان يتوهم انه يراها ٠ وما دامت القضبان واسعة فليس يهم بتاتا ان اكون داخل القفص أو خارج القفص ، ومن أحاديث جدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئذ يصبح الرجل ، لا المراة هو اسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان ٠ انا شخصيا اكتشفت ان اللولى اغلى من الذهب ، وقفصى كله من اللولى ٠٠٠ يا حللولى ٠

صانع الاقنعة : كفى نقاشا ٠ لقد استمعنا لاهم الآراء ٠ والآن السؤال هو ، للمرة الثانية ، هل المراة اليوم أحط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !

المعلم العاشر : انا معترض على طرح القضية على هذا الوجه ٠

صانع الاقنعة : على اى وجه تحب ان تطرحها ؟

على الزيبق الجوكى : لقد اثبت كل الخبراء بالاسانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصـــادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع وراس المـال مع الاستعمار لابقـاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها • فليـكن السؤال : هل هنـاك عصر ذهبى أو لا •

صانع الاقنعة : موافق • السؤال المطروح امامكم هو • هـل هنـاك عصر ذهبى أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثـل الكشافة : يعيش !

وهنـا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش • يعيش • ولـم يسمع الا خمس أو ست أحمات • وكان الهتـاف قاطعا فلم يجرؤ احـد ان يطالب بعـد الاحمات •

صانع الاقنعة : نفهم من هـذا أن ادبـاء مصر فى عهد الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نسـاء اليوم •

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصـد بافضل ؟

صانع الاقنعة : اقصـد محصنات اكثر • يعنى بالبلدى أكثـر عفـة •

مجاهـد بن الشماخ : على وجـه اليقين • على وجـه اليقـين •

المعلم العاشر : بعـد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن ابى ربيعة وأورانية اليونان ومأخور مسالينا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خذوا الاصوات بنفس الطريقة . الموافقون يقولون : احم ! . والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هائل يقول : يعيش ! يعيش ! يعيش . وغرقت الاحمات فى هدير اليعيشات . ولكن الذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائما يتخللها رنين أصوات النساء من اديبات مصر ، فقد كن اشد من الرجال حماسة للعصر الذهبى .

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر فى عهد الثورة يرون ان نساء الامس لم يكن اكثر عفة من نساء اليوم .

على الزيبق الجوكى : هذا غير كاف . أنا اطالب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل » عفة من نساء اليوم .

صانع الاقنعة : ربما كان هذا صحيحا ، ولكن لا داعى للاستفزاز يا على الزيبق . يكفى اننا انقذنا سمعة المرأة المصرية فى القرن العشرين . ثم لا تنس ان نساء الامس هن جداتنا كما أن نساء اليوم هن زوجاتنا . ونقص عفة جداتنا يصيبنا نحن فى مقتل . ويكفى اننا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيرة وهى أنه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المرأة المصرية أولا ثم المرأة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية . المساواة . الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل . الملبس . المسكن الفراش) اكثر من المرأة فى بابل واشور واليونان القديمة وروما . وليكن هذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيهــا المتعة بالفائدة • واسمحوا لى ايهــا السادة ان ارفع الجلسة وافض هــذه الــدورة الاولى لهــذا المؤتمر الاول لادبــاء مصر وفنانيها • وسأحــدد لكم موعــد الــدورة الثانيه ، ولكنهــا لن تكون قبــل شهور طويلة • واقترح ان يكون جــدول الاعمال فى الــدورة القادمة هو « نظم الحــكم بين القــديم والجــديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافيــة من الاعضاء • والى أن يحين الحين : ارفــع الجلسة واعلن انتهــاء الــدورة الاولى للمؤتمر • وفقكم اللــه لمــا فيــه نصر الفنون والآداب والعلوم الانسانية • وشكرا •

وهنــا دوت القاعه بالتصفيق • وانصرف الحاضرون زرافات ووحــدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم • ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتســـم فى طمأنينة المراهق الــذى اكتشف فجأة ان شاربه قــد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيــه ويزهو به • وتفرقوا بــين فترينــات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هــدية لزوجته تنفيــذا لقرارات المؤتمر الذى بــرأ نســاء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : علبة بانكيك أو قــلم احمر شفايف أو زجــاجة بارفان ، بعــد ان تأكــدوا من ان رجــال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات الزينة ، حتى عــز الدين ايدمــر المحيوى والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جمــاعة الى دكــان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضـــــة اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجـــــردة

زوجـة النعمان بن المنـذر • وأمـا ابو الفتوح الصباح فقد جره المجاهـد بن الشماخ قائلا : اسمع يـا اخى • طبعـا نحن لن ننفـذ قرارات المؤتمر • يجب ان نتوارى عن العيـون حتى يرتفع هـذا البلاء • هـذا ما جرته علينـا وثنية اليونان وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القـرن العشرين •

« انتهـى »

للمؤلف

١ _ The Theory and Practice of Poetic Dicti on.
M. Litt. Dissertation, Cambridge University.

٢ ـ « فن الشعر » لهوارس • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ • (كتب فى كامبريدج ١٩٣٨) •
الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠ •

٣ ـ « بروميثيوس طليقا » للشاعر شلى • الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ •

٤ ـ « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد • الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ • الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٥ ـ « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد • الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ •

٦ ـ « بلوتولاند » وقصائد أخرى : « من شعر الخاصة » • الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ •
(نظم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج) •

٧ ـ « فى الأدب الانجليزى الحديث » • الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهـرة ، ١٩٥٠ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، ١٩٨٦ •

(بحوث نشر اكثرها فى مجلة الكاتب المصرى خـلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٨ ـ Studies in Literature, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1954.

٩ ـ « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •

١٠ ـ « دراسات فى ادبنا الحديث » • الناشر : دار المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر اكثرها فى جـريدة « الجمهورية » عـام ١٩٥٤ وفى جريدة « الشعب » خـلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨) •

١١ ـ « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •

١٢ ـ « دراسات فى النظم والمذاهب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

١٣ ـ « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث » الجـزء الأول : « قضية المـرأة » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات القيت على طلبة المعهـد) •

١٤ ـ « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » الجـزء الثانى : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ · الطبعة الثانية · الناشر : دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ · (محاضرات ألقيت على طلبة المعهد) ·

١٥ ـ « الاشتراكية والأدب » · الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ · الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ · (بحوث نشرت فى « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفى « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) ·

١٦ ـ « الجامعة والمجتمع الجديد » · الناشر : الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ·

١٧ ـ « دراسات فى النقد والأدب » · الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ · الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ·

١٨ ـ The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1953). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.

١٩ ـ « المسرح العالمى » · الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ·

٢٠ ـ « البحث عن شكسبير » · الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ·

٢١ ـ « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » · الناشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ·

٢٢ ـ « مذكرات طالب بعثة » · الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ · (كتبت فى ١٩٤٢)

٢٣ ـ « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعـارف ، القاهـرة ، ١٩٦٥ •

٢٤ ـ « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٥ ـ « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهـرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٢٦ ـ « أجاممنون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العـربى ، القاهـرة ، ١٩٦٦ •

٢٧ ـ « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •

٢٨ ـ « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكـاتب العربى ، القاهـرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار روز اليوسف

٢٩ ـ « انطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

٣٠ ـ « حاملات القرابين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣١ ـ « أسطـورة أوريست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣٢ ـ « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٣٣ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة الفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جـزءان) • الناشر : دار

الهــلال ، القاهــرة ، ١٩٦٩

٣٤ ـ « الجنون والفنون فى اوروبا ٦٩ » • الناشر : دار الهــلال ، القاهرة ، ١٩٧٠

٣٥ ـ « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٦ ـ « الحــرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة التاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٧ ـ « الــوادى الســعيد » • الناشر : لصموبل جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •

٣٨ ـ « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢ •

٣٩ ـ « ثقافتنا فى مفترق الطرق » • الناشر : دار الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •

٤٠ ـ « أقنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار القضايا بيروت : الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعــة الثانية ، القاهــرة ، ١٩٧٦ •

٤١ ـ « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضــايا ، بيروت ، ١٩٧٧ •

٤٢ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الآول : الخلفية التاريخية : الجـزء الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •

٤٣ ـ « مقدمة فى فقــه اللغــة العربية » • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •

٤٤ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصــر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الاول : الخلفية التاريخية،

الجـزء الثانى) ٠ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ٠

٤٥ ـ « تاريخ الفـكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى) الجـزء الثـالث ، الناشر : مكتبـة مدبولى القاهرة ١٩٨٦ ٠

٤٦ ـ « اقنعة اوروبية » ٠ الناشر : دار ومطـابع المستقبل ، القاهـرة ١٩٨٦ ٠

رقـم الايـداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعـة الطـويل
٤٧ شارع نظيف ـ روض الفـرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

محاورات الدكتور لويس عوض الجديدة هى الأفكار التى تراوده فى مواضيع الفكر والسياسة والاجتماع ودليل قارئه الذكى إلى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية .

المستقبل بالقاهرة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت

Bibliotheca Alexandrina
0248505